الفوائدُ العباسيةُ

شرحُ الأربعينِ النوويةِ

تأليف

أبي الحارث

عمر بن سالم باوزير العباسي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرضين، مُدَبِّرِ الخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ،
بَاعِثِ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَجْمَعِينَ - إِلَى جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ لِهَدَايَتِهِمْ وَبَيَانِ
شَرَائِعِ الدِّينِ، بِالذَّلَائِلِ الْقَطِيعَةِ، وَوَضِيحَاتِ الْبَرَاهِينِ.
أَحْمَدُهُ عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ، وَأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. الْكَرِيمُ الْغَفَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَحَبِيبَهُ وَخَلِيلَهُ أَفْضَلَ الْمَخْلُوقِينَ، الْمُكْرَمَ بِالْقُرْآنِ الْعَزِيزِ
الْمُعْجِزَةِ الْمُسْتَمْرَّةِ عَلَى تَعَاقِبِ السِّنِينَ، وَبِالسَّنَنِ الْمُسْتَنِيرَةِ لِلْمُسْتَشْرِشِينَ
الْمَخْصُوصُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَسِمَاخَةِ الدِّينِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
سَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ وَالصَّالِحِينَ.

فَهَذَا مَا اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ حَاجَةُ الْمُتَفَهِّمِ، وَكُلِّ مُدْرَسٍ وَمُعَلِّمٍ مِنْ شَرْحِ الْأَرْبَعِينَ
النَّوَوِيَّةِ لِلْمُحَدِّثِ الْكَبِيرِ وَالْإِمَامِ الشَّهِيرِ أَبِي زَكَرِيَّا مُحْيِي الدِّينِ يَحْيَى بْنِ شَرْفِ
النَّوَوِيِّ، فِيهِ قَوَاعِدٌ وَقَوَائِدُ تَنْشُرُ جَوَاهِرَهَا، وَتُبْرُزُ ضَمَائِرَهَا، وَتُفْصِحُ عَنْ لُغَاتِهَا،
وَتُسْفِرُ عَنْ جَمَالِ حُورِ مَقْصُورَاتِهَا، وَتُبَيِّنُ بَدِيعَ جَوَامِعِ كَلَامِ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانَ
نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَمْ أَلْ جُهْدًا فِي الْإِخْتِصَارِ وَالتَّجَافِي عَنْ
مَنْهَجِ الْإِكْتِسَارِ، وَلَمْ أَكْثِرْ مِنْ نَقْلِ الْأَقَاوِيلِ وَالِاخْتِلَافَاتِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ
الْآفَاتِ عَلَى الطُّلَابِ، إِذْ هُوَ يُدْهَشُ الْعَقْلَ وَيُحَيِّرُ الذِّهْنَ.

وَقَدْ اعْتَمَدْتُ عَلَى شُرُوحِ مَنْ قَبْلِي مِنَ الْأَثَمَةِ السَّابِقِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمُعَاصِرِينَ،

كاتبِ رجبٍ^(١) وعبدِ المُحسِنِ العَبَادِ^(٢) وغيرِهِم، وَأَمَّا شَرْحُ نَاظِمِ المِسْبَاحِ^(٣)
فَعَلَيْهِ العُمْدَةُ وَمِنْهُ التَّهْدِيبُ وَالِإِخْتِصَارُ.

وَأخِيرًا أَسْأَلُ اللّهَ العَظِيمَ، رَبَّ العَرشِ الكَرِيمِ أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ هَذَا الكِتَابِ
بِالقَبُولِ وَالبَرَكَةِ، كَمَا بَارَكَ فِي أَصْلِهِ، وَأَنْ يُبَارِكَ فِي أَعْمَالِنَا وَأَعْمَارِنَا وَكُلِّ مَا
رَزَقْنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ وَوَالِدِيَّ وَأَهْلِي وَذُرِّيَّتِي وَطُلَابِي وَالمُسْلِمِينَ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ.

كتبه: أبو الحارث

عمر بن سالم بن عبد الله باوزير العباسي

١٨ / ٨ / ٤٤٣ هـ - ٢١ / ٣ / ٢٠٢٢ م

(١) المَتَوَفَى: ٦٧٦ هـ

(٢) اسم كتابه (فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتممة الخمسين).

(٣) المسمى (قواعد وفوائد من الأربعين النووية).

الحديثُ الأوَّلُ

عن أميرِ المؤمنينِ أبي حفصِ عمرِ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

– راوي الحديث:

هو أبو حفصِ عمرُ بنُ الخطَّابِ العدوي القرشي، الملقَّبُ بالفاروق، هو ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة وزهادهم. تولى الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق في السنة الثالثة عشر من الهجرة.

واستشهد رضي الله عنه وهو يصلي على يد أبي لؤلؤة المجوسي، وذلك في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة، ودُفن إلى جانب صاحبيه: رسول الله ﷺ، وأبي بكر الصديق رضي الله عنه في حجرة النبي ﷺ.

– منزلة الحديث:

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، قال عنه الإمام الشافعي رحمه الله: حديث النبي يدخل في سبعين باباً من الفقه، وقال أبو عبيد: ليس في الأحاديث أجمع، ولا أغنى، ولا أنفع، ولا أكثر فائدة منه. وقال الشوكاني رحمه الله:

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ.

وَمِنْ تَعْظِيمِ الْعُلَمَاءِ لِهَذَا الْحَدِيثِ رَأُوا الْبِدَاعَةَ بِهِ فِي مُصَنَّفَاتِهِمْ؛ وَذَلِكَ تَنْبِيْهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ إِلَى تَصْحِيْحِهِ نَيْتَهُ. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُصَنِّفَ كِتَابًا فَلْيَبْدَأْ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

– هَلِ الْحَدِيثُ سَبَقَ بِسَبَبِ مُهَاجِرِ أُمِّ قَيْسٍ؟

اهْتَمَّ أَهْلُ الْعِلْمِ بِمَعْرِفَةِ سَبَبِ نَزْوْلِ الْآيَاتِ، وَسِيَاقِ الْأَحَادِيثِ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ فَهْمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

وَقَدْ ظَنَّ قَوْمٌ أَنَّ الْحَدِيثَ سَبَقَ بِسَبَبِ رَجُلٍ أَرَادَ الزَّوْاجَ مِنْ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ قَيْسٍ، فَهَاجَرَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَبْتَعْ بِهَجْرَتِهِ فَضِيلَةَ الْهَجْرَةِ، وَاسْتَدَلُّوا بِمَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَنْ هَاجَرَ يَبْتَغِي شَيْئًا فَإِنَّمَا لَهُ ذَلِكَ»، وَقَالَ: «كَانَ فِينَا رَجُلٌ خَطَبَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا: أُمُّ قَيْسٍ، فَأَبَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَهُ حَتَّى يُهَاجِرَ، فَهَاجَرَ فَتَزَوَّجَهَا، فَكُنَّا نُسَمِّيهِ: مُهَاجِرَ أُمِّ قَيْسٍ».

قَالَ الْحَافِظُ: وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيْحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ أَنَّ حَدِيثَ الْأَعْمَالِ سَبَقَ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَلَمْ أَرَ فِي شَيْءٍ مِنَ الطَّرِيقِ مَا يَقْتَضِي التَّصْرِيْحَ بِذَلِكَ.

– قَوْلُهُ رضي الله عنه: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ) هَذَا التَّرْكِيبُ يَفِيدُ الْحَصْرَ، وَذَلِكَ لَوْجُودِ (إِنَّمَا)، حَيْثُ هِيَ مِنْ صَيَغِ الْحَصْرِ؛ وَلِأَنَّ الْأَعْمَالَ جَمْعٌ مُحَلَّى بِاللَّامِ، وَهَذَا يُفِيدُ الْاسْتِعْرَاقَ الْمُسْتَلْزِمَ لِلْحَصْرِ.

وَالْحَصْرُ هُوَ: إِثْبَاتُ الْحُكْمِ فِي الْمَذْكُورِ، وَنَفْيُهُ عَمَّا عَدَاهُ.
وَالْأَصْلُ أَنَّ (إِنَّمَا) تَفِيدُ الْحَصْرَ الْمُطْلَقَ، وَتَارَةً تَقْتَضِي حَصْرًا مَخْصُوصًا، وَيُفْهَمُ ذَلِكَ بِالْقُرَائِنِ وَالسِّيَاقِ^(١).

(١) مَثَلًا قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ: حَصْرُ مِهْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه بِالنَّدَارَةِ،

- قوله ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) يَشْمَلُ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ: الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ.
- قوله ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) هُنَا لَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيرِ الْمَضَافِ
المحذوف، وتقديره إنما صحة الأعمال بالنيات. لأنَّ الصِّحَّةَ أَكْثَرُ لُزُومًا
للحقيقة مِنَ الكَمَالِ، فالعملُ عَلَيْهَا أَوْلَى، وبهذا قَالَ ابنُ دَقِيقٍ.

- قوله ﷺ: (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى) مِنْ نَوَى شَيْئًا يَحْصُلُ لَهُ، سَوَاءً
عَمَلُهُ أَوْ مَنَعَهُ عَنْهُ مَانِعٌ يُعَذِّرُ بِهِ شَرْعًا، وَكُلُّ مَا لَمْ يَنْوِهِ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ.
فالعملُ فِي نَفْسِهِ صِلَاحُهُ وَفَسَادُهُ وَإِبَاحَتُهُ بِحَسَبِ النِّيَّةِ الْحَامِلَةِ عَلَيْهِ،
الْمُفْتَضِلَّةِ لَوْجُودِهِ، وَثَوَابِ الْعَامِلِ وَعِقَابُهُ وَسَلَامَتُهُ بِحَسَبِ النِّيَّةِ الَّتِي صَارَ بِهَا
الْعَمَلُ صَالِحًا، أَوْ فَاسِدًا، أَوْ مُبَاحًا.

- قوله ﷺ: (وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى
مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)، بَيْنَ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامَتِهِ عَلَيْهِ: أَنَّ الْهَجْرَةَ^(١) تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ
مَقَاصِدِ الْمُكَلَّفِ، فَمَنْ هَاجَرَ حُبًّا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلِرَسُولِهِ، وَرَغْبَةً فِي التَّقْوَى
فِي دِينِهِ وَإِظْهَارِهِ حَيْثُ كَانَ يُعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ فِي دِيَارِ الْكُفْرِ، فَهَذَا هُوَ الْمَهَاجِرُ
لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ بِحَقِّ.

وَمَنْ كَانَ مَقْصِدُ هِجْرَتِهِ حُظُوظَ الدُّنْيَا، وَشَهَوَاتِهَا مِنْ: نِسَاءٍ، وَمَالٍ، وَجَاهٍ،
وَعَبْرَ ذَلِكَ، فَحِظُّهُ مِنْ هِجْرَتِهِ الدُّنْيَا وَحُظُوظِهَا الْفَانِيَّةِ، وَفِي هَذَا تَأْكِيدٌ عَلَى
أَمْرَيْنِ: أَنَّ الْأَعْمَالَ بِحَسَبِ النِّيَّاتِ، وَأَنَّ حِظَّ الْعَامِلِ مِنْ عَمَلِهِ نَيْتُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ
شَرٍّ، وَهَاتَانِ قَاعِدَتَانِ كَلِمَتَانِ، لَا يَخْرُجُ عَنْهُمَا شَيْءٌ.

وَالْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَالرَّسُولُ ﷺ لَا تَنْحَصِرُ مَهْمَّتُهُ بِالنَّدَاةِ، بَلْ لَهُ أَوْصَافٌ أُخْرَى، كَالْبِشْرَةِ
وغيرها.

(١) الْهَجْرَةُ مَأْخُودَةٌ مِنَ التَّرْكِ، وَالْهَجْرَةُ إِلَى الشَّيْءِ: الْإِنْتِقَالُ إِلَيْهِ عَنْ غَيْرِهِ، فَتَرُكُ بِلَادِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ
الْإِسْلَامِ يُسَمَّى هِجْرَةً وَهَذِهِ بَاقِيَةٌ، وَتَرُكُ مَكَّةَ إِلَى الْحَبَشَةِ سُمِّيَ هِجْرَةً، وَتَرُكُ مَكَّةَ أَوْ غَيْرَهَا إِلَى
الْمَدِينَةِ سُمِّيَ هِجْرَةً، وَتَرُكُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَزَجَرَ سُمِّيَ هِجْرَةً كَذَلِكَ.

- النِّيَّةُ هِيَ الْقَصْدُ، لِذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ: نَوَاكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ: قَصَدَكَ بِهِ وَأَوْصَلَكَ إِلَيْهِ.

وَالْعَرَضُ مِنَ النِّيَّةِ أُمُورٌ:

١- تَمْيِيزُ الْعِبَادَاتِ عَنِ الْعَادَاتِ، فَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْأَكْلِ يَكُونُ حِمِيَّةً لِلتَّطْيِيبِ، وَقَدْ يَكُونُ لَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْأَكْلِ، وَقَدْ يَكُونُ تَرْكًا لِلشَّهَوَاتِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالصَّوْمُ يَحْتَاجُ إِلَى نِيَّةٍ حَتَّى يَتَمَيَّزَ عَنْ غَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ غُسْلُ الْجَنَابَةِ بِحَاجَةٍ إِلَى نِيَّةٍ حَتَّى يَتَمَيَّزَ مِنْ غُسْلِ التَّبَرُّدِ وَالتَّنَظَافَةِ.

٢- تَمْيِيزُ رَتَبِ الْعِبَادَاتِ عَنِ بَعْضِهَا الْبَعْضِ، فَالصَّلَاةُ بِحَاجَةٍ إِلَى نِيَّةٍ حَتَّى تَتَمَيَّزَ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ النَّافِلَةِ، وَالصِّيَامُ مِنْهُ الْفَرَضُ، وَالْفَرَضُ مِنْهُ: صَوْمُ رَمَضَانَ، وَالتَّذْرُ، وَالْكَفَّارَاتُ، وَمِنْهُ النَّافِلَةُ: كَصَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَعَاشُورَاءَ، وَصَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَلَا بُدَّ مِنْ نِيَّةٍ حَتَّى يَتَمَيَّزَ كُلُّ نَوْعٍ عَلَى حِدَةٍ، وَالصَّدَقَةُ مِنْهَا: الْفَرَضُ، وَالْكَفَّارَاتُ، وَالتَّنَافِلَةُ، وَكَذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ نِيَّةٍ حَتَّى تَتَمَيَّزَ.

٣- تَمْيِيزُ الْمَقْصُودِ بِالْعَمَلِ، هَلْ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، أَمْ مَعَهُ غَيْرُهُ؟ وَهَذِهِ النِّيَّةُ الَّتِي خَاضَ بِهَا عُلَمَاءُ الشُّلُوكِ، لِذَلِكَ صَنَّفَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا مُصَنَّفًا سَمَّاهُ (كِتَابَ الْإِحْلَاصِ وَالنِّيَّةِ).

- الْجَهْرُ بِالنِّيَّةِ بَدْعَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَدُلُّ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهَا، وَلَمْ تَرُدَّ عَنِ الْقُرُونِ الْفَاضِلَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَاتَّبَاعِهِمْ، وَمِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعِبَادَاتِ الْمَنْعُ، وَلَا تَتَّبِعُ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِنَصِّ.

قَالَ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الرَّبِيعِ سَلِيمَانُ بْنُ عَمْرِ الشَّافِعِيُّ: الْجَهْرُ بِالنِّيَّةِ ... لَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ، بَلْ مَكْرُوهٌ، فَإِنْ حَصَلَ بِهِ تَشْوِيشٌ عَلَى الْمُصَلِّينَ فَحَرَامٌ، وَمَنْ قَالَ بِأَنَّ الْجَهْرَ بِلَفْظِ النِّيَّةِ مِنَ السُّنَّةِ فَهُوَ مُخْطِئٌ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ وَلَا لغيرِهِ أَنْ يَقُولَ

فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ عِلْمٍ.

وقال علاء الدين العطار: ورفَعُ الصَّوْتِ بِالنِّيَّةِ مَعَ التَّشْوِيشِ عَلَى الْمُصَلِّينَ حَرَامٌ إِجْمَاعًا، وَمَعَ عَدَمِهِ بِدَعْوَةٍ قَبِيحَةٍ، ... وَلَمْ يُنْقَلْ هَذَا النُّقْلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَا عَنْ أَحَدٍ مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ. وبذلك أفتى العلامة مُحَمَّدُ بْنُ الْحَرِيرِيِّ الْأَنْصَارِيُّ، وابنُ رَجَبٍ، وغيرُهُم.

— مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- الْحَثُّ عَلَى الْإِخْلَاصِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ صَوَابًا وَابْتِغَايَ بِهِ وَجْهَهُ سُبْحَانَهُ.

٢- اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَاتِ لَا تَصِحُّ بِدُونِ نِيَّةٍ.

٣- الْأَعْمَالُ الْمُبَاحَةُ يُوجِرُ عَلَيْهَا الْعَامِلُ إِنْ أَحْسَنَ النِّيَّةَ.

٤- فَضَّلُ الْهَجْرَةَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَقَدْ وَقَعَتْ الْهَجْرَةُ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى

وَجْهَيْنِ.

الحديث الثاني

عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديداً بياض الثياب، شديداً سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإسلام أن تشهد: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)، قال: صدقت، قال: فَعَجِنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: (أن تلد الأمة رببتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)، قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً، ثم قال لي: (يا عمر، أتدري من السائل؟) قلت: الله ورسوله أعلم؟ قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم). أخرجهُ مُسْلِم.

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ (أُمُّ السُّنَّةِ) كَمَا أَنَّ الْفَاتِحَةَ (أُمَّ الْقُرْآنِ) لِأَنَّهُ جَامِعٌ لِمَعَانِي السُّنَّةِ كَمَا أَنَّ الْفَاتِحَةَ جَامِعَةٌ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ، وَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، لِهَذَا قَالَ ﷺ فِي آخِرِهِ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ) أَه.

– قَوْلُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟)، الْإِسْلَامُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ الْاسْتِسْلَامُ وَالْإِنْقِيَادُ وَالذُّلُّ، وَفِي الشَّرْعِ: هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعاً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وَالْإِسْلَامُ عَلَى مَعْنَيْنِ:

– إِسْلَامٌ شَرْعِيٌّ: وَهُوَ مَا تَقَدَّمَ تَعْرِيفُهُ مَعْنَا.

– إِسْلَامٌ كَوْنِيٌّ: وَمَعْنَاهُ اسْتِسْلَامٌ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ لِأَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى الْكَوْنِيَّةِ الْقَدْرِيَّةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾. فَكُلُّ مَخْلُوقٍ مُسْتَسْلِمٌ وَمُنْقَادٌ لِأَوَامِرِ اللَّهِ الْكَوْنِيَّةِ الْقَدْرِيَّةِ سِوَاءِ رَضِيَ أَمْ لَمْ يَرْضَ، فَلَا مَشِينَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ أَوْ غِنَى أَوْ فَقْرٍ.

وَالْإِسْلَامُ بِهَذَا الْمَعْنَى لَا مِيزَةَ فِيهِ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ بَلْ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْأَدْمِيونَ وَالْحَيَوَانَاتُ.

– فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَرَّفَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ: بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، فَاتْلَفُظُ بِالشَّهَادَتَيْنِ عَمَلُ اللِّسَانِ، وَالصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ عَمَلٌ بَدَنِيٌّ، وَزَكَاةُ الْمَالِ عَمَلٌ مَالِيٌّ، وَالْحُجُّ بَدَنِيٌّ مَالِيٌّ.

وفيه أن جميع الواجبات الظاهرة داخلة فيه، وإنما ذكر الصلاة وباقي الأركان؛ لأنها الأصول التي يُبنى عليها.

والدليل على أن كل الواجبات داخلة في مسمى الإسلام قوله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

كما أن ترك المحرمات داخل في مسمى الإسلام، قال ﷺ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

- قول جبريل عليه السلام: (فأخبرني عن الإيمان؟)، الإيمان: في اللغة: التصديق والإقرار.

وأما في الشرع: هو قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

- في هذا الحديث عرف ﷺ الإيمان بما بطن من الاعتقادات، كما ذكر ربنا تبارك وتعالى الإيمان في كتابه بهذه الأصول في مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾.

- الإسلام والإيمان هل بينهما فرق؟

قال ابن رجب: (وأما تفريق النبي بين الإيمان والإسلام في تعريفه، وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان، فإنه يتضح بتقرير أصل، وهو: أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالٌّ على باقياها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أُفرد أحدهما دخل فيه كلٌّ من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دلَّ أحدُ الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقياها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان، إذا

أُفِرِدَ أَحَدُهُمَا دَخَلَ فِيهِ الْآخَرُ، وَدَلَّ بَانْفِرَادِهِ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْآخَرُ بَانْفِرَادِهِ،
فَإِذَا قُرِنَ بَيْنَهُمَا دَلَّ أَحَدُهُمَا عَلَى بَعْضِ مَا يَدُلُّ بَانْفِرَادِهِ، وَدَلَّ الْآخَرُ عَلَى
الْبَاقِي) أَهـ.

إِذَا قُرِنَ فِي نَصِّ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، فَيَكُونُ الْإِيمَانُ:
هُوَ تَصْدِيقَ الْقَلْبِ وَإِقْرَارَهُ وَمَعْرِفَتَهُ، وَيَكُونُ الْإِسْلَامُ بِمَعْنَى: الْاِسْتِسْلَامَ لِلَّهِ
وَالخُضُوعِ وَالانْقِيَادِ لَهُ بِالْعَمَلِ.

وَعَلَى هَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: كُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنًا؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ
قَدْ يَنْقَادُ بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، كَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا تَظَاهِرًا وَنِفَاقًا، وَقَدْ
يَنْقَادُ وَإِيمَانُهُ وَتَصْدِيقُهُ ضَعِيفٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا
وَلَكِن قُولُوا أَسْمَأْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ
مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُنَافِقِينَ بِالْكُلِّيَّةِ، بَلْ كَانُوا ضَعِيفِي
الْإِيمَانِ.

- فِي الْحَدِيثِ: (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟) الْإِحْسَانُ فِي اللُّغَةِ ضِدُّ
الْإِسَاءَةِ، وَالْإِحْسَانُ فِي الشَّرْعِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

القِسْمِ الْأَوَّلِ: إِحْسَانٌ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِكَلَامِ الْمُصْنِفِ - رَحْمَةُ
اللَّهِ - وَهَذَا الْقِسْمُ عَلَى مَرْتَبَتَيْنِ:

الأولى: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تُشَاهِدُ مَعْبُودَكَ الَّذِي قُتِمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا
بَلَغَ الْعَبْدُ إِلَى حَدِّ أَصْبَحَ فِيهِ كَأَنَّهُ يُطَالِعُ مَا اتَّصَفَ اللَّهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ
وَالجَلَالِ، فَإِنَّ الرُّوحَ سَتَحْسُسُ بِالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ، فَتَعْبُدُ اللَّهَ عِبَادَةً طَلَبِ وَشَوْقِ
إِلَى مَحْبُوبِهِ لَا هَرَبٍ وَخَوْفٍ مِنْهُ.

الثانية: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَأَنْتَ مُسْتَحْضِرٌ سَمِعَ اللَّهُ وَبَصَرَهُ وَعِلْمَهُ وَمُرَاقِبَتَهُ

فَتَعْبُدَ اللَّهَ عِبَادَةَ الْخَائِفِ مِنْهُ، الْهَارِبِ مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ.
القِسْمِ الثَّانِي: إِحْسَانٌ إِلَى الْخَلْقِ، وَهُوَ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: بَدَلُ
النَّدَى^(١)، وَكَفُّ الْأَذَى، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ.
وَإِلْحْسَانٌ إِلَى الْخَلْقِ عَلَى نَوْعَيْنِ:
إِحْسَانٌ وَاجِبٌ، وَهُوَ أَنْ تَقُومَ بِحُقُوقِهِمُ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكَ، كَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ
الْأَرْحَامِ، وَالنَّفَقَةِ عَلَى الْأَوْلَادِ وَالزَّوْجَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.
إِحْسَانٌ مُسْتَحَبٌّ، وَهُوَ أَنْ تُحَسِّنَ إِلَيْهِمْ فَوْقَ الْقَدْرِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ
عَلَيْكَ.

- في الحديث: (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا،
وَأَنْ تَرَى الْخُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ)، الْأَمَارَاتُ بِفَتْحِ
الْهَمْزَةِ جَمْعُ أَمَارَةٍ أَيْ عِلَامَةٍ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَشْرَاطِهَا وَهُوَ جَمْعُ شَرْطٍ بِالْفَتْحِ
بِمَعْنَى الْعِلَامَةِ وَالْمُرَادُ أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ عِلَامَاتِهَا الدَّالَّةِ عَلَى قُرْبِهَا.

وقد ذَكَرَ ﷺ مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عِلَامَتَيْنِ:

- (أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا)، وَالْمُرَادُ: بَرَّتِهَا سَيِّدَتُهَا وَمَالِكْتَهَا. وَلِلْعُلَمَاءِ فِي
الْمُرَادِ بِهَذَا أَقْوَالٌ مِنْهَا:

أ- قِيلَ: يَكْتَثُرُ الْعُقُوقُ فِي الْأَوْلَادِ، فَيُعَامِلُ الْوَلَدُ أُمَّهُ مَعَامَلَةَ السَّيِّدِ أُمَّتَهُ،
مِنْ حَيْثُ السَّبُّ، وَالضَّرْبُ، وَالاسْتِخْدَامُ، وَالاسْتِهَانَةُ، وَهَذَا مَا يَمِيلُ الْحَافِظُ
ابْنَ حَجَرَ إِلَيْهِ.

ب- وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ: (وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى فَتْحِ الْبِلَادِ وَكَثْرَةِ جَلْبِ الرَّقِيقِ،
حَتَّى تَكْتَثُرَ السَّرَارِيُّ، وَتَكْتَثُرَ أَوْلَادُهُنَّ، فَتَكُونُ الْأُمَّةُ رَقِيقَةً لَسَيِّدِهَا، وَأَوْلَادُهُ مِنْهَا

(١) وهو أن توصل الخير الديني أو الدنيوي للخلق، الديني بأن تنصحهم وتعظمهم وتعلمهم، والدنيوي
بأن تسعى في قضاء حوائجهم.

بِمَنْزِلَتِهِ، فَإِنَّ وَلَدَ السَّيِّدِ بِمَنْزِلَةِ السَّيِّدِ فَيَصِيرُ وَلَدُ الْأُمَّةِ بِمَنْزِلَةِ رَبِّهَا وَسَيِّدِهَا).
- (وَأَنَّ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبُنْيَانِ).
الحافِي: هُوَ مَنْ لَا نَعْلَ فِي قَدَمَيْهِ، وَالْعَارِي: هُوَ مَنْ لَا ثِيَابَ عَلَى بَدَنِهِ،
وَالْعَائِلُ: هُوَ الْفَقِيرُ.

والمراءد: أَنْ أَسَافَلَ النَّاسَ يَصِيرُونَ رُؤَسَاءَ، وَتَكْثُرُ أَمْوَالُهُمْ، وَيُشَيِّدُونَ الْمَبَانِيَ
الْعَالِيَةَ مُبَاهَاةً وَتَفَاخُرًا عَلَى عِبَادِ اللَّهِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (الْمَقْصُودُ الْإِخْبَارُ عَنِ تَبَدُّلِ الْحَالِ بِأَنَّ يَسْتَوْلِي أَهْلُ الْبَادِيَةِ
عَلَى الْأَمْرِ، وَيَتَمَلَّكُوا الْبِلَادَ بِالْقَهْرِ، فَتَكْثُرُ أَمْوَالُهُمْ وَتَنْصَرِفَ هُمُومُهُمْ إِلَى تَشْيِيدِ
الْبُنْيَانِ وَالتَّفَاخُرِ بِهِ، وَقَدْ شَاهَدْنَا ذَلِكَ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ).

قُلْتُ: رَحِمَ اللَّهُ الْقُرْطُبِيَّ يَقُولُ هَذَا قَبْلَ مِائَةِ السِّنِينَ فَكَيْفَ لَوْ اطَّلَعَ عَلَى
مَا أَحَدَتْهُ أَهْلُ الْبَوَادِي فِي زَمَانِنَا فَهُوَ أَظْهَرُ وَأَظْهَرُ!

الحديث الثالث

عن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ). رواه البخاري ومسلم

– زاوي الحديث:

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، ولد بمكة في السنة العاشرة من قبل الهجرة، محدث وفقية وصحابي من صغار الصحابة، وأحد الكثيرين في رواية الحديث، وكان جواداً كريماً، زاهداً عابداً.

وكان رضي الله عنه من أكثر الناس افتدائاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن أكثرهم تبعاً لآثاره. شهد عدداً من المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم شارك بعد وفاة النبي في فتوح الشام والعراق وفارس ومصر وإفريقية.

ولما قامت الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه آثر اعتزال الفتنة. ومات بمكة في السنة الثالثة والسبعين من الهجرة.

– منزلة الحديث:

قال النووي: (إن هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين، وعليه اعتمادُه وقد جمع أركانه) أهـ. لذلك يجب الاعتناء به وحفظه ونشره بين المسلمين.

- قَوْلُهُ ﷺ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ)، فِيهِ أَنَّ الْإِسْلَامَ مَثَلُهُ كَالْبُنْيَانِ، وَهَذِهِ الْخَمْسُ: دَعَائِمُ الْبُنْيَانِ وَأَرْكَانِهِ الَّتِي يَتَّبْتُ عَلَيْهَا الْبُنْيَانُ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ)، فِيهِ أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ مِنْ أَعْظَمِ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ بِهَا يُعْصَمُ الدَّمُ وَالْمَالُ، وَبِهَا يُقْبَلُ الْعَمَلُ، وَبِهَا دُخُولُ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾، وَبِهَا تُغْفَرُ الذُّنُوبُ مَهْمَا عَظُمَتْ.

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَبَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: طَاعَتُهُ فِيَمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيَمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَأِقَامِ الصَّلَاةِ)، أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ جُحُودًا وَإِنْكَارًا لَهَا كَفَرَ وَخَرَجَ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ. وَاخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ مَنْ تَرَكَهَا تَكَاسُلًا وَتَشَاغُلًا عَنْهَا دُونَ عُدْرٍ يُعْتَدُّ بِهِ، مَعَ اعْتِقَادِهِ بِفَرْضِيَّتِهَا:

- مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ كَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَبُو حَنِيفَةَ، أَنَّهُ فَاسِقٌ وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ ﷺ: (خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُصَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ

شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ^(١). وكذلك اَحْتَجُّوا بِعُمُومِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ
أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

- قولُ عمرَ بنِ الخطَّابِ، وعبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عوفٍ، ومعاذِ بنِ جبلٍ، وأبي
هُريرةَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، وأبي
الدَّرْدَاءِ، ومن غيرِ الصَّحابةِ: أحمدُ بنُ حنبلٍ في روايةٍ، وإسحاقُ بنُ
راهويه، وعبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ، والنَّخَعِيُّ، واستدلُّوا بالآتي:

عن جابرٍ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: (بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ)^(٢).
وعن عبدِ اللَّهِ بنِ شقيقِ العُقَيْلِيِّ قال: (كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا يَرَوْنَ
شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ)^(٣).

- الزَّكَاةُ أَوْجِبَهَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَلَكَ نِصَابًا مِنْ مَالٍ
بشروطِهِ، وَهِيَ فِي اللُّغَةِ: النَّمَاءُ وَالطَّهَارَةُ وَالْبِرْكَةُ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمَا يَكُونُ فِيهَا
مِنَ الْبِرْكَةِ فِي الْمَالِ، وَطَهَارَةِ النَّفْسِ لِمُؤَدِّيهَا مِنْ أَذْرَانِ الشُّحِّ وَالْبَخْلِ.

- الْحَجُّ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ كَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ الْحَدِيثُ، وَهُوَ وَاجِبٌ
عَلَى الْمُسْتَطِيعِ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا﴾.

- صَوْمُ رَمَضَانَ فَرَضُ تَبَتَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾،
وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ الصِّيَامَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

(١) أخرجه مالك وأبوداود والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه الترمذي وصححه، وصححه الألباني أيضاً.

الحديث الرابع

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: (إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا). رواه البخاري ومسلم.

— راوي الحديث:

هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي ولد بمكة، صحابي وفقية ومقرئ ومحدث جليل، وأحد السابقين إلى الإسلام، ووَّاحِدٌ مَمَّنْ هَاجَرُوا الْهَجْرَتَيْنِ إِلَى الْحَبْشَةِ وَإِلَى الْمَدِينَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي مَكَّةَ. وَقَدْ تَوَلَّى قِضَاءَ الْكُوفَةِ وَبَيْتَ مَالِهَا فِي خِلَافَةِ عُمَرَ، وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عَثْمَانَ رضي الله عنه أَجْمَعِينَ.

ومات في المدينة في السنة الثانية والثلاثين من الهجرة.

- قَوْلُهُ ﷺ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ) وَالْمُرَادُ بِالْجَمْعِ: ضَمُّ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ بَعْدَ الْإِنْتِشَارِ، يَجْمَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَحَلِّ الْوِلَادَةِ مِنَ الرَّحِمِ، وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا أَثْبَتَهُ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ، فَالْحَيَوَانَاتُ الْمَنْوِيَّةُ الَّتِي يَقْدِفُهَا الرَّجُلُ كَثِيرَةٌ، وَتَكُونُ مُنْتَشِرَةً فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ بَعْدَ الْقَدْفِ، وَلَكِنْ لَا يَجْتَمِعُ مِنْهَا مَعَ الْبُؤْيُضَةِ إِلَّا وَاحِدٌ.

- مَرَاحِلُ تَكْوِينِ الْإِنْسَانِ:

١- النُّطْفَةُ: وَهِيَ الطَّوْرُ الْأَوَّلُ الَّذِي يَمُرُّ بِهِ الْجَنِينُ بَعْدَ التَّقَاءِ الْحَيَوَانِ الْمَنْوِيِّ مَعَ الْبُؤْيُضَةِ، وَالنُّطْفَةُ أَصْلُهَا الْمَاءُ الصَّافِي، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْمَنْيُّ، وَتَمْتَدُّ مُدَّةَ هَذَا الطَّوْرِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، كَمَا قَالَ ﷺ: (أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةٌ).

٢- الْعَلَقَةُ: وَهِيَ الطَّوْرُ الثَّانِي الَّذِي يَمُرُّ بِهِ الْجَنِينُ، وَالْعَلَقَةُ هِيَ الدَّمُّ الْجَامِدُ الْغَلِيظُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَعَلُّقِهِ بِمَا مَرَّ بِهِ، وَيَمْتَدُّ هَذَا الطَّوْرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، كَمَا بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ)، وَمِمَّا يَشْهَدُ لِذَلِكَ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَاقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.

٣- الْمُضْغَةُ: وَهِيَ الطَّوْرُ الثَّلَاثُ الَّذِي يَمُرُّ بِهِ الْجَنِينُ، وَالْمُضْغَةُ هِيَ: قِطْعَةٌ مِنْ لَحْمٍ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا قَدْرٌ مَا يَمْضَغُ الْمَضْغُ، وَيَمْتَدُّ هَذَا الطَّوْرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَقَالَ ﷺ: (ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ).

٤- نَفْخُ الرُّوحِ: وَيَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ مُضِيِّ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا مِنْ اجْتِمَاعِ الرُّوحَيْنِ، قَالَ ﷺ: (ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ)، وَهَذَا مُلَاحَظٌ بِالْمَشَاهِدَةِ، وَالرُّوحُ مَا يَحْيِي بِهِ الْعَبْدُ، وَهِيَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وَعَرَفَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: (جِسْمٌ لَطِيفٌ سَارٍ فِي الْبَدَنِ، مُشْتَبِكٌ بِهِ اشْتِبَاكُ الْمَاءِ بِالْعُودِ الْأَخْضَرِ).

وعَرَّفَهَا آخَرُونَ: (جَوْهَرٌ مُجَرَّدٌ مُتَّصِرٌ فِي الْبَدَنِ).

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ)، فِيهِ وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِعِلْمِ اللَّهِ الْكَامِلِ، الَّذِي يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا سَيَكُونُ، وَكَيْفَ يَكُونُ، وَبِنَاءٍ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ الْكَامِلِ، كُتِبَ سُبْحَانَهُ فِي الْكِتَابِ رِزْقَ الْإِنْسَانِ الَّذِي سَيَحْصُلُ عَلَيْهِ أَثْنَاءَ حَيَاتِهِ حَتَّى يَمُوتَ، وَالْعَمَلِ الَّذِي سَيَقُومُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَهَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ أَمْ السَّعَادَةِ. وَهَذَا الْعِلْمُ لَا يَرْفَعُ عَنِ الْعَبْدِ الْإِخْتِيَارَ وَالْقَصْدَ؛ لِأَنَّ صِفَةَ الْعِلْمِ غَيْرُ مُؤَثَّرَةٍ، كَمَا أَنَّ النُّصُوصَ الْكَثِيرَةَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، تُثَبِّتُ أَنَّ لِلْإِنْسَانَ قَصْدًا وَإِرَادَةً وَخُرَيْبَةً إِخْتِيَارًا.

- قَوْلُهُ ﷺ: (فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ... إلخ). فِيهِ أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالْخَوَاتِيمِ، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ الَّتِي تَصْدُرُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ مُوَافِقَةً لِمَا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ، فَمَنْ كُتِبَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا بَدَّ أَنْ يُؤَفَّقَ لِلأَعْمَالِ الَّتِي تَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْ عَمِلَ فِتْرَةً مِنْ حَيَاتِهِ بِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ. وَكَذَلِكَ مَنْ كُتِبَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَا بَدَّ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا يُوَجِبُ لَهُ النَّارَ، وَلَوْ عَمِلَ فِتْرَةً مِنْ حَيَاتِهِ بِأَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَفِي هَذَا حُثٌّ عَلَى الدُّعَاءِ بِالثَّبَاتِ عَلَى الدِّينِ، وَقَدْ كَانَ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ بِالثَّبَاتِ عَلَى الدِّينِ، كَمَا جَاءَ عَنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)^(١).

وَفِيهِ حُثٌّ عَلَى الْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَأَلَّا يَغْتَرَّ الْعَبْدُ بِعَمَلِهِ وَصَلَاحِهِ،

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، وَحَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ جَنَاحِي الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

قال النووي في شرح هذا الحديث: (فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، ظاهر الآية أن العمل الصالح من المخلص يُقبل، وإذا حصل القبول بوعد الكريم أمن مع ذلك من سوء الخاتمة، فالجواب من وجهين:

- أحدهما: أن يكون ذلك معلّقاً على شروط القبول وحسن الخاتمة، ويُحتمل أن من آمن وأخلص العمل لا يُختم له دائماً إلا بخير.

- ثانيهما: أن خاتمة السوء إنما تكون في حق من أساء العمل أو خلطه بالعمل الصالح المشوب بنوع من الرياء والسمعة، ويدل عليه الحديث الآخر: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس)، أي فيما يظهر لهم من إصلاح ظاهره مع فساد سريره وخبثها، والله تعالى أعلم).

الحديث الخامس

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ).

– زاوي الحديث:

هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ التَّمِيمِيِّ الْقُرَشِيَّةِ، تُوَفِّيتُ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَثَلَاثُ زَوَاجَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ امْرَأَةً بَكَرًا غَيْرَهَا.

وَقَدْ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهِيَ مِنَ الْمُكْثَرِينَ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ.

وَكَانَ أَكْبَرَ الصَّحَابَةِ يَسْأَلُونَهَا فِيمَا أُسْتُشْكِلَ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ، إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا»^(١). وَكَانَتْ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ مَا جَعَلَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ: «سَمِعْتُ حُطْبَةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالْخُلَفَاءَ هَلُمَّ جَرًّا إِلَى يَوْمِي هَذَا، فَمَا سَمِعْتُ الْكَلَامَ مِنْ فَمٍ مَخْلُوقٍ، أَفْحَمَ، وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا».

(١) أخرجه الترمذي.

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي وَزَنِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْتَدُ بِهَا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ، كَمَا أَنَّ حَدِيثَ (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) أَصْلٌ فِي الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ، وَأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ يُتَقَرَّبُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكُونَ مُعْتَبَرًا بِنِيَّتِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذَا الْحَدِيثُ مَعْدُودٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ، وَقَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ).

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا يَنْبَغِي حِفْظُهُ وَاسْتِعْمَالُهُ فِي إِبْطَالِ الْمُنْكَرَاتِ، وَإِشَاعَةِ الْإِسْتِدْلَالِ بِهِ).

– قَوْلُهُ ﷺ: (مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ). أَي: مَنْ أَنْشَأَ وَاخْتَرَعَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَشَرَعَهُ الَّذِي رَضِيَهِ لَنَا مِنْ قَبْلِ هَوَاهُ وَنَفْسِهِ، مِمَّا يُنَافِي الدِّينَ وَيُنَاقِضُهُ وَلَا يَشْهَدُ لَهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَقَوَاعِدِهِ الْعَامَّةِ، فَهَذَا الَّذِي اخْتَرَعَهُ وَأَنْشَأَهُ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ، لَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: (فَكُلُّ مَنْ أَحَدَثَ شَيْئًا وَنَسَبَهُ إِلَى الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الدِّينِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ ضَلَالَةٌ، وَالدِّينُ مِنْهُ بَرِيءٌ)^(١).

– الْأَصْلُ فِي الْعِبَادَاتِ التَّحْرِيمِ^(٢)، فَكُلُّ عِبَادَةٍ لَمْ يَشْرَعْهَا اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ يَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِهَا، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِمَّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ) وَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ (كُلَّ مَنْ دَانَ بِشَيْءٍ لَمْ يَشْرَعْهُ

(١) وَقَالَ أَيْضًا: (وَالْمُرَادُ بِالْبِدْعَةِ: مَا أُحْدِثَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرِيعَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، فَأَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الشَّرْعِ يَدُلُّ عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ شَرْعًا، وَإِنْ كَانَ بِدْعَةً لُغَةً).

وَقَالَ ابْنُ حَجْرٍ: (وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) مَا أُحْدِثَ وَلَا دَلِيلَ لَهُ مِنَ الشَّرْعِ بِطَرِيقٍ خَاصٍ وَلَا عَامٍ).

(٢) وَالْأَصْلُ فِي الْمَعَامَلَاتِ الْحِلُّ، فَمَنْ قَالَ بِحُرْمَةِ مُعَامَلَةٍ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقِيمَ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ.

اللَّهُ فَذَلِكَ بَدْعَةٌ)، وَعَلَى ضَوْءِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ الَّتِي أَصْلَها عِلْمًاؤُنَا فَكُلُّ مَنْ تَقَرَّبَ
بِعِبَادَةٍ فَعَلِيهِ أَنْ يُثْبِتَ دَلِيلَ مَشْرُوعِيَّتِهَا لِمَنْ طَالَبَهُ بِذَلِكَ.

— مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- تحريمُ الابتداعِ في الدينِ.
- ٢- أنَّ العملَ المَبْنِيَّ عَلَى بَدْعَةٍ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ.
- ٣- أنَّ العملَ الصَّالِحَ إِذَا أُتِيَ بِهِ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ، كَالْتَنفُلِ فِي
وَقْتِ النَّهْيِ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَصِيَامِ يَوْمِ الْعِيدِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ بَاطِلٌ لَا يُعْتَدُّ بِهِ.
- ٤- أنَّ حُكْمَ الْحَاكِمِ لَا يُعَيَّرُ مَا فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: (لَيْسَ عَلَيْهِ
أَمْرُنَا).

٥- أنَّ الصُّلْحَ الْفَاسِدَ بَاطِلًا، وَالْمَأْخُوذَ عَلَيْهِ مُسْتَحَقُّ الرَّدِّ.

الحديثُ السَّادِسُ

عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ). متفقٌ عليه

– راوي الحديث:

هو النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ بنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ، وَيُكْنَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحَدُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، مِنْ صِغَارِ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَنْصَارِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ شَهْرًا، فَأَتَتْ بِهِ أُمُّهُ (أُخْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ) تَحْمِلُهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَبَشَّرَهَا بِأَنَّهُ سَيَعِيشُ حَمِيدًا وَيُقْتَلُ شَهِيدًا وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَقِيلَ: أَنَّهُ قُتِلَ لَمَّا دَعَا أَهْلَ حِمصَ إِلَى بَيْعَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالسِّتِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ.

– منزلةُ الحديث:

الحديثُ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ، قَالَ عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ

رَحْمَهُ اللَّهُ: الْإِسْلَامُ يَدُورُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْهَا هَذَا الْحَدِيثَ.
 - قَوْلُهُ ﷺ: (إِنَّ الْحَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ)، أَي أَنَّ الْحَالَ الْمَحْضَ
 بَيْنَ لَا شُبْهَةَ فِيهِ: كَالزَّوْجِ وَأَكْلِ الطَّيِّبَاتِ، وَلُبْسِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقُطْنِ
 وَالصُّوفِ، وَكَذَلِكَ الْحَرَامَ الْمَحْضَ بَيْنَ: كَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَنِكَاحِ الْمَحَارِمِ، وَلباسِ
 الْحَرِيرِ عَلَى الرَّجَالِ، وَالزَّيِّ وَالرِّبَا.

وَالْبَيَانُ فِي الْحَالَ وَالْحَرَامِ بَعْضُهُ أَظْهَرُ مِنْ بَعْضٍ، فَهُنَاكَ أُمُورٌ مَعْلُومَةٌ مِنْ
 الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، وَذَلِكَ لظُهُورِهَا وَاشْتِهَارِهَا، وَهَذَا لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهْلِهِ يَعِيشُ
 بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمُسْلِمِينَ. وَهُنَاكَ أُمُورٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا حَمَلَةُ الشَّرِيعَةِ، وَتَخْفَى عَلَى
 أَغْلَبِ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُنَاكَ أُمُورٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.
 - قَوْلُهُ ﷺ: (وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) يَعْنِي: أَنَّ
 بَيْنَ الْحَالَ الْبَيِّنِ الظَّاهِرِ وَالْحَرَامِ الْبَيِّنِ أُمُورًا تَشْتَبِهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ: هَلْ
 هِيَ مِنَ الْحَالَ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ^(١)، أَمَا الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ فَلَا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا
 نَدَرَ وَذَلِكَ عِنْدَمَا لَا يَظْهَرُ لَهُمْ تَرْجِيحُ أَحَدِ الدَّلِيلِينَ.

- النَّاسُ أَمَامَ الْمُتَشَابِهِ عَلَى أَضْرَبِ:

١- مِنْهُمْ مَنْ يَتَرَكُهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَتَحَرُّرًا مِنَ الْإِثْمِ، وَذَلِكَ لِاشْتِبَاهِهِ
 عَلَيْهِمْ، وَعَدَمِ وُضُوحِ الْحُكْمِ فِيهِ، وَهَوْلَاءِ بَتَرَكِهِمُ الْمُتَشَابِهَ طَلَبُوا السَّلَامَةَ
 لِدِينِهِمْ، وَالبَرَاءَ لِأَعْرَاضِهِمْ مِنَ الطَّعْنِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
 (فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ)، وَهَذَا يَصْدُقُ فِيهِ قَوْلُهُ ﷺ:
 (مَنْ تَرَكَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ، كَانَ لَمَّا اسْتَبَانَ لَهُ أَتْرَكَ، مَنْ اجْتَرَأَ عَلَى مَا
 يَشْكُ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ)^(٢).

(١) وَمِنْهَا: مَا اخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ الْعِلْمِ اخْتِلَافًا بَيِّنًا.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

٢- منهم مَنْ يَقَعُ فِي الْمُتَشَابِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُتَشَابِهٌ عِنْدَ النَّاسِ لَا عِنْدَهُ،
وَذَلِكَ لِاتِّضَاحِ الْحُكْمِ لَهُ فِي الْقَضِيَّةِ فَهَذَا لَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي وَقُوعِهِ، وَلَكِنْ إِنْ
تَرَكَهُ حِفَاطًا لِعَرَضِهِ مِنَ النَّاسِ فَهَذَا حَسَنٌ وَمَمْدُوحٌ.

٣- منهم مَنْ يَقَعُ فِي الْمُتَشَابِهِ - مَعَ أَنَّهُ مُشْتَبِهٌ عَلَيْهِ - اتِّبَاعًا لِهَوَاهُ، فَهَذَا
هُوَ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ: (وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ).

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ)، مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ وَقَعَ
فِي الشُّبُهَةِ - مَعَ اعْتِقَادِهِ أَنَّهَا شُبُهَةٌ - فَإِنَّ ذَلِكَ ذَرِيعَةٌ لِلْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ، وَذَلِكَ
بِالتَّدْرُجِ وَالتَّسَامُحِ. كَمَا قَالَ ﷺ: (مَنْ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشْكُ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ أَوْشَكَ
أَنْ يُوَقَعَ مَا اسْتَبَانَ)^(١).

- قَوْلُهُ ﷺ: (كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يَوْشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ
مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ) ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْوُقُوعِ فِي الشُّبُهَاتِ
مَثَلًا بِالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنَ الْحِمَى سَلِمَ مِنْ وَقُوعِ
مَا شِئْتَهُ فِي الْحِمَى، وَإِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ أَوْشَكَ أَنْ تَقَعَ مَا شِئْتَهُ فِيهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.
وَالْمُرَادُ بِالْحِمَى مَا يَحْمِيهِ الْمُلُوكُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَرَاضِي الْمَخْصِيَةِ، وَيَمْنَعُونَ
غَيْرَهُمْ مِنْ قُرْبِهَا، فَالَّذِي يَرَعَى حَوْلَهَا يَوْشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهَا، فَيُعْرَضُ نَفْسَهُ لِلْعُقُوبَةِ،
وَحِمَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمَحَارِمُ الَّتِي حَرَّمَهَا، فَيَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ الْإِبْتِعَادَ عَنْهَا،
وَعَلَيْهِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الْمُشْتَبِهَاتِ الَّتِي قَدْ تُؤَدِّي إِلَيْهَا.

- قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ
صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) الْمُضْغَةُ:
الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ عَلَى قَدَرِ مَا يَمُضْغُهُ الْأَكِلُ، وَفِي هَذَا بَيَانٌ عَظِيمٌ شَأْنِ الْقَلْبِ
فِي الْجَسَدِ، وَأَنَّهُ مَلِكُ الْأَعْضَاءِ، وَأَنَّهَا تَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ، وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ.

(١) المصدر السابق.

وَسُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا لِتَقَلُّبِهِ فِي الْأُمُورِ، أَوْ لِأَنَّهُ خَالِصٌ مَا فِي الْبَدَنِ، وَخَالِصٌ
كُلُّ شَيْءٍ قَلْبُهُ.

وَحُصَّ الْقَلْبُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ أَمِيرُ الْبَدَنِ، وَبِصَلَاحِ الْأَمِيرِ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ،
وَبِفْسَادِهِ تَفْسُدُ، وَلَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَفْقَهُ الْأُمُورَ بِهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾.

وَالْقَلْبُ قَدْ يَمْرُضُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾، وَمَرَضُ الْقَلْبِ قَدْ يَكُونُ بِاللِّفَاقِ، أَوْ الشَّكِّ، أَوْ
الْكُفْرِ، أَوْ الْقَسْوَةِ، أَوْ الْكِبَرِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ.

— مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- بَيَانُ تَقْسِيمِ الْأَشْيَاءِ فِي الشَّرِيعَةِ إِلَى حَالٍ بَيِّنٍ، وَحَرَامٍ بَيِّنٍ، وَمُشْتَبَهٍ
مُتَرَدِّدٍ بَيْنَهُمَا.

٢- أَنْ الْمُشْتَبَهَ لَا يَعْلَمُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَنْ بَعْضَهُمْ يَعْلَمُ حُكْمَهُ بِدَلِيلِهِ.

٣- تَرْكُ إِتْيَانِ الْمُشْتَبَهِ حَتَّى يُعْلَمَ حُلُّهُ.

٤- ضَرْبُ الْأَمْثَالِ لِتَقْرِيرِ الْمَعَانِي الْمَعْنَوِيَّةِ بِتَشْبِيهِهَا بِالْحِسِّيَّةِ.

٥- أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وَقَعَ فِي الْأُمُورِ الْمُشْتَبَهَةِ هَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقَعَ فِي الْأُمُورِ

الْوَاضِحَةِ.

٦- بَيَانُ عِظَمِ شَأَنِ الْقَلْبِ، وَأَنَّ الْأَعْضَاءَ تَابِعَةٌ لَهُ، تَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ وَتَفْسُدُ

بِفْسَادِهِ.

٧- أَنَّ فِسَادَ الظَّاهِرِ دَلِيلٌ عَلَى فِسَادِ الْبَاطِنِ.

٨- أَنَّ فِي اتِّقَاءِ الشُّبُهَاتِ مُحَافَظَةً الْإِنْسَانَ عَلَى دِينِهِ مِنَ النِّقْصِ، وَعَرَضَهُ

مِنَ الْعَيْبِ وَالثَّلْبِ.

الحديث السابع

عن أبي رُقَيْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسِ الدَّارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ). رواه مسلم

– زاوي الحديث:

هو تَمِيمُ بْنُ أَوْسِ بْنِ خَارِجَةَ مِنْ بَنِي الدَّارِ مِنْ قَبِيلَةِ لَحْمٍ. يُكْنَى بِأَبِي رُقَيْةَ.

وكان تَمِيمُ الدَّارِيُّ نَصْرَانِيًّا، وَأَسْلَمَ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَسَكَنَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ بَعْدَ مَقْتَلِ الْخَلِيفَةِ الثَّالِثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ.

ومات بالشَّامِ سَنَةً أَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَدُفِنَ فِي فِلَسْطِينَ.

– قوله صلى الله عليه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)، هَذِهِ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّةِ النَّصِيحَةِ فِي الدِّينِ، وَأَنَّهَا أَسَاسُهُ وَعِمَادُهُ، وَيَدْخُلُ تَحْتَهَا مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم لِلْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، وَأَنَّهُ سَمَّى ذَلِكَ دِينًا، وَقَالَ: (هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)، وَيُشْبِهُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: (الْحَجُّ عَرَفَةٌ)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ الرُّكْنُ الْأَعْظَمُ فِي الْحَجِّ، الَّذِي يُفَوِّتُ الْحَجَّ بِفَوَاتِهِ.

- النَّصِيحَةُ: مَأْخُودَةٌ مِنَ النَّصْحِ بِمَعْنَى الْخُلُوصِ. وَنَصَحَ الشَّيْءُ: خَلَصَ.
وَالنَّاصِحُ: الْخَالِصُ مِنَ الْعَسَلِ وَغَيْرِهِ. فَشَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مِمَّا
يُفْسِدُهُ، وَتَخْلِيصَ النَّفْسِ مِمَّا يُدْنِسُهَا بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ.
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ: النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَتَضَمَّنُ قِيَامَ النَّاصِحِ
لِلْمَنْصُوحِ لَهُ بِوُجُوهِ الْخَيْرِ إِرَادَةً وَفِعْلًا.

- النَّصِيحَةُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تَوْحِيدُهُ وَوَصْفُهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ،
وَتَنْزِيهِهُ عَمَّا يُضَادُّهَا وَيُخَالِفُهَا، وَتَجَنُّبُ مَعَاصِيهِ، وَالْقِيَامُ بِطَاعَاتِهِ وَمَحَابَّتِهِ
بِوَصْفِ الْإِخْلَاصِ، وَبِالْحُبِّ فِيهِ وَبِالْبُغْضِ فِيهِ، وَجِهَادٍ مَنْ كَفَرَ بِهِ تَعَالَى، وَمَا
ضَاهَى ذَلِكَ، وَالِدُعَاءُ إِلَى ذَلِكَ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ.

- النَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ: الْإِيمَانُ بِهِ وَتَعْظِيمُهُ وَتَنْزِيهِهُ، وَتِلَاوَتُهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ،
وَالْوُقُوفُ مَعَ أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَتَفْهَمُ عُلُومَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَتَدَبُّرُ آيَاتِهِ، وَالِدُعَاءُ إِلَيْهِ،
وَذَبُّ تَحْرِيفِ الْغَالِيْنَ وَطَعْنِ الْمُلْحِدِينَ عَنْهُ.

- النَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ ﷺ، الْإِيمَانُ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَتَوْقِيرُهُ وَتَبْجِيلُهُ،
وَالْتِمَسُّكُ بِطَاعَتِهِ، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ، وَنَشْرُهَا، وَمَعَادَاةٌ مَنْ عَادَاهُ وَعَادَاةَا، وَمُؤَالَاةٌ
مَنْ وَالَاهُ وَوَالَاهَا، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ، وَمَحَبَّةٌ آلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَنَحْوُ
ذَلِكَ.

- النَّصِيحَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، أَيْمَةُ الْمُسْلِمِينَ طَائِفَتَانِ:
الطَّائِفَةُ الْأُولَى: الْخُلَفَاءُ وَالْقَادَةُ: وَالنَّصِيحَةُ لَهُمْ تَكُونُ بِمُعَاوَنَتِهِمْ عَلَى
الْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ فِيهِ، وَتَنْبِيهِهِمْ وَتَذْكَيرِهِمْ بِرَفِقٍ وَلُطْفٍ، وَمُجَانِبَةِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ،
وَالِدُعَاءُ لَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ، وَحَثُّ الْأَعْيَارِ عَلَى ذَلِكَ.
الطَّائِفَةُ الثَّانِيَّةُ: الْعُلَمَاءُ، وَتَكُونُ بِالنَّصِيحَةِ لَهُمْ بِنَشْرِ عِلْمِهِمْ، وَإِحْسَانِ الظَّنِّ
بِهِمْ، وَتَقْدِيرِهِمْ، وَاحْتِرَامِهِمْ، وَإِعْطَائِهِمْ حُقُوقِهِمْ، وَالِدَّفَاعِ عَنْهُمْ.

- النَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، يَرشَادِهِمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ، وَتَعْلِيمِهِمْ أُمُورَ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَسِتْرَ عَوْرَاتِهِمْ، وَسَدِّ خَلَاتِهِمْ، وَنُصْرَتِهِمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَالذَّبَّ عَنْهُمْ، وَمَجَانِبَةَ الْغِشِّ وَالْحَسَدِ لَهُمْ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ، وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ.

- حُكْمُ النَّصِيحَةِ:

الأصلُ فِيهَا أَنَّهَا فَرَضٌ كَفَايَةٌ، إِذَا قَامَ بِهَا مَنْ يَكْفِي سَقَطَ عَنْ غَيْرِهِ وَهِيَ لَازِمَةٌ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ، وَتَكُونُ فَرَضٌ عَيْنٍ فِي الْأَحْوَالِ التَّالِيَةِ:

١- إِذَا طَلَبَهَا مِنْكَ أَخُوكَ الْمُسْلِمُ، لَمَّا جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتُّ قِيلَ مَا هُنَّ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمْتَهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ)^(١).

٢- عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمُنْكَرِ الَّذِي سَكَتَ عَنْهُ النَّاسُ أَوْ جَهَلُوهُ، وَلَا يَتَرْتَبُ عَلَى إِنْكَارِهِ مِنْكَرٌ أَكْبَرُ، لَمَّا جَاءَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ؛ وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ)^(٢).

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- الْأَمْرُ بِالنَّصِيحَةِ وَبَيَانُ عِظَمِ شَأْنِهَا، وَعِظِيمُ مَنْزِلَتِهَا مِنَ الدِّينِ.

٢- بَيَانُ لِمَنْ تَكُونُ النَّصِيحَةُ.

٣- حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى مَعْرِفَةِ أُمُورِ الدِّينِ، وَذَلِكَ بِسُؤَالِهِمْ لِمَنْ تَكُونُ

النَّصِيحَةُ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

- ٤- أن للعالم أن يكِلَ فهمَ ما يلقيه إلى السامِعِ، ولا يزيدُ له في البيانِ
حتى يسأله السامِعُ لِتشوقِ نفسه حينئذٍ إليه، فيكونَ أوقعَ في نفسه ممّا إذا
هجمهُ به من أوّلِ وهلةٍ.
- ٥- أن الدّينَ يُطلقُ على العملِ، كما يُطلقُ على القولِ؛ لكونه سمّي
النصيحةَ ديناً.

الحديث الثامن

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

هذا الحديث عظيم؛ لأنه يُنصُّ على قواعد الدين وأصوله، من: توحيد الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والجهاد في سبيله، وإقامة باقي واجبات الإسلام. كما يُنصُّ على حرمة دم المسلم وماله.

– قوله ﷺ: (أمرت) الأمر لرسول الله ﷺ هو الله؛ لأنه لا أمر له غيره، وإذا قال الصحابي: أمرنا بكذا، أو نهيينا عن كذا، فالأمر والناهي لهم رسول الله ﷺ.

– لَمَّا تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ، وَارْتَدَّ مَنْ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ، وَامْتَنَعَ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ، عَزَمَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى قِتَالِهِمْ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّ مِنْ حَقِّ الشَّهَادَتَيْنِ آدَاءَ الزَّكَاةِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ الْحَدِيثُ بِإِضَافَةِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ، كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَنَظَرَهُ عَمْرٌ فِي ذَلِكَ، وَجَاءَتْ الْمُنَاطَرَةُ بَيْنَهُمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، قَالَ: لَمَّا تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

واستخلف أبو بكرٍ بعده، وكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلَ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى)، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ! لِأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ! لَوْ مَنَعُونِي عَقْلًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

- يُسْتَشَى مِنْ عَمُومِ مَقَاتِلَةِ النَّاسِ حَتَّى الْإِتْيَانِ بِمَا ذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَهْلُ الْكِتَابِ إِذَا دَفَعُوا الْجِزْيَةَ لِدَلَالَةِ الْقُرْآنِ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. [التوبة: ٢٩]، وَأَمَّا مُشْرِكُو الْعَرَبِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْوَثْنِيِّينَ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوْ الْقِتْلَ.

- فِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ لِمَذْهَبِ الْمُحَقِّقِينَ وَالْجَمَاهِيرِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ أَنَّهُ يَكْفِي لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ الشَّهَادَتَانِ، وَهِيَ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ، وَلَا التَّفَاتُ لِأَقْوَالِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْاعْتِمَادِ عَلَى أُمُورٍ أُخْرَى، كَالنَّظَرِ أَوْ الشُّكِّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَرْهَاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْبَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَهُ يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ الشَّهَادَتَيْنِ فَقَطْ، وَيَعْصِمُ دَمَهُ بِذَلِكَ وَيَجْعَلُهُ مُسْلِمًا، فَقَدْ أَنْكَرَ عَلَى أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قِتْلَهُ لِمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ، وَاشْتَدَّ نَكِيرُهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ لِيَشْتَرِطَ عَلَى مَنْ جَاءَهُ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ إِنَّهُ يُلْزِمُهُ

الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ.

– قوله ﷺ: (وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ) أَنْ يُدَاوِمُوا عَلَى إِقَامَتِهَا وَبَشَرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا، وَالْمَقْصُودُ بِالصَّلَاةِ: الْمَفْرُوضَةُ، قَالَ التَّوَوِيُّ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ عَمْدًا يُقْتَلُ.

وَمِنَ الْأَدْلَةِ الَّتِي تَشْهَدُ أَنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ لَا يُعْصَمُ دَمُهُ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾. وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ حَجَجٍ مَنْ قَالَ بِقَتْلِ تَارِكِ الصَّلَاةِ إِذَا لَمْ يَتُبْ.

وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى الْقَوْلِ بِقَتْلِ تَارِكِ الصَّلَاةِ مِنْ عِلْمَانِنَا وَأَنْمَتِنَا الْأَعْلَامِ: مَالِكٌ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيهِ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَالشُّوْكَانِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

– قوله ﷺ: (وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ)، فَمَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ عَصَمَ دَمَهُ وَمَالَهُ، وَمَنْ أَنْكَرَ وَجُوبَهَا فَإِنَّهُ يَكْفُرُ وَيَخْرُجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَمَنْ ائْتَمَعَ عَنْ أَدَائِهَا مَعَ اعْتِقَادِهِ بِوَجُوبِهَا فَإِنَّهُ يَأْتِمُّ وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَعَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْخُذَهَا مِنْهُ قَهْرًا، وَلَوْ ائْتَمَعَ قَوْمٌ عَنْ أَدَائِهَا بِغَيْرِ جُحُودٍ بِفَرْضِيَّتِهَا، وَكَانَتْ لَهُمْ قُوَّةٌ وَمَنْعَةٌ وَقَاتَلُوا عَلَى مَنْعِهَا، فَعَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقَاتِلَهُمْ عَلَيْهَا حَتَّى يُعْطَوْهَا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعَنَا قِصَّةُ مُنَاطَرَةِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ ﷺ أَجْمَعِينَ.

– قوله ﷺ: (إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ) فِيهِ مَشْرُوعِيَّةٌ قِتَالِ الطَّائِفَةِ الْمُؤْتَمِعَةِ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ. وَأَمَّا قِتَالُ الْوَاحِدِ الْمُؤْتَمِعِ عَنْهَا فَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ يُقْتَلُ الْمُؤْتَمِعُ عَنِ الصَّلَاةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ.

وَكذَلِكَ مِنْ حَقِّهَا ارْتِكَابُ الْمُسْلِمِ مَا يُبِيحُ دَمَهُ: كَقِتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ، وَالزَّانِيَ بَعْدَ الْإِحْصَانِ، وَالرَّذَّةَ. قَالَ ﷺ: (لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا يَأْخُذِي ثَلَاثٌ: الثِّبْتُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ

بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ^(١).

– قوله ﷺ: (وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى) فِيهِ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ لَنَا الْإِسْلَامَ، وَقَامَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ، عَصَمَ دَمَهُ وَمَالَهُ، وَعُومِلَ مَعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ قَصَدَ بِإِسْلَامِهِ اللَّهَ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، لَهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى يَوْمَ الدِّينِ.

وَمَنْ قَصَدَ بِإِسْلَامِهِ التَّيَّيَّةَ مِنَ الْقَتْلِ، فَهَذَا مُنَافِقٌ أَمْرُ سِرِّيَّتِهِ إِلَى اللَّهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ صَلَّى بِغَيْرِ طَهَارَةٍ، أَوْ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ فِي بَيْتِهِ وَادَّعَى أَنَّهُ صَائِمٌ، فَهَذَا يُقْبَلُ مِنْهُ الظَّاهِرُ، وَتُوكَلُّ سِرِّيَّتُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ ﷺ يُجْرِي أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، مَعَ عِلْمِهِ بِنِفَاقِ بَعْضِهِمْ فِي الْبَاطِنِ.

– مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- الأمرُ بالمقاتلةِ إلى حصولِ الشهادتينِ والصلاةِ والزكاةِ.

٢- إطلاقُ الفعلِ على القولِ؛ لقوله: (فإذا فعلوا ذلك)، ومِمَّا ذَكَرَ قَبْلَهُ الشهادتانِ وهما قولٌ.

٣- إثباتُ الحسابِ على الأعمالِ يومَ القيامةِ.

٤- أنْ مَنْ امتنعَ عن دفعِ الزكاةِ قوتلَ على منعها حتَّى يؤدِّيها.

٥- أنْ مَنْ أظهرَ الإسلامَ قُبِلَ منه، ووُكِّلَ أمرَ باطنه إلى الله.

٦- التلازمُ بينَ الشهادتينِ وأَنَّهُ لا بدَّ منهما معاً.

٧- بيانُ عظمِ شأنِ الصَّلَاةِ والزكاةِ، والصلاةِ حقُّ البدنِ، والزكاةُ حقُّ

المالِ.

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

الحديثُ التاسعُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

– راوي الحديث:

هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، من فقهاء الصحابة وحفاظهم وعلمائهم وزهادهم، ومن المكثرين في رواية الحديث، أسلم عام خيبر في السنة السابعة من الهجرة، قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره.

أسلم في السنة السابعة من الهجرة، ولزم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما يُعدُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واحدًا من أعلام قراء الحجاز، حيث تلقى القرآن عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعرضه على أبي بن كعب، وتولى أبو هريرة ولاية البحرين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وتولى إمارة المدينة من سنة أربعين حتى واحد وأربعين من الهجرة. وبعدها لزم المدينة يعلم الناس، حتى مات في السنة التاسعة والخمسين من الهجرة.

– منزلة الحديث:

هذا الحديث من جوامع كلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيه وجوب اتباع أمره والتسليم لما

جَاءَ بِهِ مِنْ غَيْرِ مُعَارَضَةٍ، وَأَنَّ الطَّاعَةَ بَقْدَرِ الاستِطَاعَةِ، وَفِيهِ التَّحْذِيرُ مِنَ الوُقُوعِ بِمَا وَقَعَتْ بِهِ الأُمَّمُ السَّابِقَةُ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى هَلَاكِهَا.

- سببُ الحديثِ ما جاء في صحيحِ مسلمٍ، عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فُحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكَلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجِبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ) ثُمَّ قَالَ: (ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ)^(١).

- قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ) فِيهِ وَجُوبُ اجْتِنَابِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَأَلَّا يَقَعَ فِيهَا إِلَّا لضروريةِ أَلْجَائِهِ إِلَى ذَلِكَ. وَلَمْ يَلْقُ النَّبِيُّ ﷺ اجْتِنَابَ المنهياتِ بالاستِطَاعَةِ، لِأَنَّ النِّهْيَ مِنْ بَابِ التُّرُوكِ، وَهِيَ مُسْتَطَاعَةٌ، فَإِلْإِنْسَانُ مُسْتَطِيعٌ أَلَّا يَفْعَلَ وَهُوَ بِكَامِلِ إِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)، فِيهِ تَقْيِيدُ امْتِنَالِ الأَمْرِ بِالِاسْتِطَاعَةِ؛ لِأَنَّهُ تَكْلِيفٌ بِفِعْلِ، فَقَدْ يُسْتَطَاعُ ذَلِكَ الفِعْلُ، وَقَدْ لَا يُسْتَطَاعُ، فَالْمَأْمُورُ يَأْتِي بِالْمَأْمُورِ بِهِ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ.

وَكَذَلِكَ اسْتَنْبَطَ العُلَمَاءُ مِنْهَا هَذِهِ القَاعِدَةَ: المَيْسُورُ لَا يَسْقُطُ بِالمَعْسُورِ، وَمَعْنَاهَا: أَنَّ المُكَلَّفَ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ يَشُقُّ عَلَيْهِ فِعْلٌ وَاجِبٌ مِنَ الوَاجِبَاتِ، وَلَكِنْ يَتيسَّرُ لَهُ فِعْلٌ بَعْضُهُ، ففِي هَذِهِ الحَالَةِ يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلُ المُتيسَّرِ لَهُ مِنْهُ، كَمَنْ وَجَدَ مَاءً لَا يَكْفِي لِرَفْعِ الحَدَثِ، فَعَلِيهِ فِي هَذِهِ الحَالَةِ اسْتِعْمَالُهُ فِي بَعْضِ أَعْضَائِهِ وَيَتَيَّمُّ لِلْبَاقِي، وَكَذَلِكَ مَنْ عَجَزَ عَنِ بَعْضِ أَرْكَانِ وشروطِ الصَّلَاةِ فَعَلِيهِ

(١) السَّائِلُ هُوَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، كَمَا أوردَ ابْنُ ماجَةَ فِي سُنَنِهِ رَوَايَةً نَصَّتْ عَلَى ذَلِكَ.

أَنْ يَأْتِيَ بِمَا يَسْتَطِيعُ مِنْهَا، وَلَا تَسْقُطُ عَنْهُ الصَّلَاةُ بِسَبَبِ عَجْزِهِ عَنْ بَعْضِهَا.
 - قوله ﷺ: (فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى
 أَنْبِيَائِهِمْ)، قَالَ النَّوَوِيُّ: (وَهَذَا النَّهْيُ خَاصٌّ بِزَمَانِهِ ﷺ، أَمَّا بَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّتِ
 الشَّرِيعَةُ، وَأَمِنَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِيهَا، زَالَ النَّهْيُ بِزَوَالِ سَبَبِهِ). وَيُوضِحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ:
 (إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحْرَمْ عَلَى
 الْمُسْلِمِينَ، فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ)^(١).

وفيه أيضاً التحذير من مخالفة أمره ﷺ، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ
 يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ
 كَثِيرٍ: فَلْيَحْذَرِ وَلْيَخْشَ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَةَ الرَّسُولِ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ
 فِتْنَةٌ﴾ أَي: فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ بِدْعَةٍ ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
 أَي: فِي الدُّنْيَا بِقَتْلِ، أَوْ حِدِّ، أَوْ حَبْسٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.
 - مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- وَجُوبُ تَرْكِ كُلِّ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ.
- ٢- وَجُوبُ الْإِتْيَانِ بِكُلِّ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.
- ٣- التَّحْذِيرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا وَقَعَّ فِيهِ أَهْلُ الْكِتَابِ مِمَّا كَانَ سَبَبًا فِي هَلَاكِهِمْ.
- ٤- أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَكْثَرُ مِمَّا يَسْتَطِيعُ.
- ٥- أَنَّ مَنْ عَجَزَ عَنْ بَعْضِ الْمَأْمُورِ كَفَاهُ أَنْ يَأْتِيَ بِمَا قَدِرَ عَلَيْهِ مِنْهُ.
- ٦- الْاِقْتِصَارُ فِي الْمَسَائِلِ عَلَى مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَتَرْكُ التَّنَطُّعِ وَالتَّكْلِيفِ فِي الْمَسَائِلِ.

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

الحديثُ العاشرُ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ ... يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغَدْيِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟). رواه مسلم.

– منزلةُ الحديثِ:

الحديثُ له شأنٌ عظيمٌ، فهو من قواعدِ الدينِ، ونصٌّ على أهميّةِ الطيبةِ في عمومِ الأعمالِ التي يتقربُ بها إلى الله عزَّ وجلَّ، وأنها شرطٌ في قبولِ الأعمالِ الصالحةِ والدُّعاءِ.

– قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ) الطَّيِّبُ ضدُّ الحَيْثِ، فإذا وصِفَ به اللهُ جلَّ تَعَالَى أُريدَ به أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ النِّقَائِصِ، مُقَدَّسٌ عَنِ الْآفَاتِ، وَإِذَا وُصِفَ بِهِ الْعَبْدُ مُطْلَقًا أُريدَ بِهِ أَنَّهُ الْمُتَعَرِّيُّ عَنِ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَقَبَائِحِ الْأَعْمَالِ وَالْمُتَحَلِّيُّ بِأَصْدَادِ ذَلِكَ، وَإِذَا وُصِفَ بِهِ الْمَالُ أُريدَ بِهِ كَوْنُهُ حَلَالًا مِنْ خِيَارِ الْأَمْوَالِ.

– قوله ﷺ: (لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا)، المقصودُ بنفيِ القَبُولِ هُنَا نَفْيُ حُصُولِ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ.

- قوله ﷺ: (وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾).

في الحديث الأمر بالأكل مما أحلَّ الله، وَأَنْ يَكُونَ بِكَسْبِ طَيِّبٍ، والابتعاد عما حرَّمه الله، قَالَ اللَّهُ سبحانه وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالذَّمَّ وَالْحَمَّ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾، ودائرة الحرام التي حرَّمها الله ضيقة وقليلة، وأما الحلال فهو واسع وكثير.

- قوله ﷺ: (ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يُمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ ... يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُدْيِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟) فيه أَنَّ إِطَابَةَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ سَبَبٌ لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَوَجْهُ الاستفهام هُنَا عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ والاستبعاد، وعندما سَأَلَ سَعْدٌ رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَطِيبَ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ)^(١).

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الطَّيِّبِ، وَمَعْنَاهُ الْمُنَزَّهَ عَنِ النِّقَاصِ.
- ٢- أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَأْتِيَ بِالطَّيِّبِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْمَكَاسِبِ.
- ٣- أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تُقْبَلُ إِلَّا مِنْ مَالٍ حَلَالٍ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طَهْوَرٍ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ)^(٢).
- ٤- إِكْرَامُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِالتَّعَمُّقِ، وَأَمْرُهُمْ بِأَنْ يَأْكُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ.
- ٥- أَنَّ أَكْلَ الْحَرَامِ مِنْ أَسْبَابِ عَدَمِ قَبُولِ الدُّعَاءِ.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، وضعفه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم.

- ٦- أَنْ مِنْ أَسْبَابِ قَبُولِ الدُّعَاءِ السَّفَرُ، وَكَوْنِ الدَّاعِي أَشَعْتُ أَغْبَرُ.
- ٧- أَنْ مِنْ أَسْبَابِ قَبُولِهِ أَيْضاً رَفْعُ اليَدَيْنِ بِالدُّعَاءِ.
- ٨- أَنْ مِنْ أَسْبَابِهِ أَيْضاً التَّوَسُّلُ بِالأَسْمَاءِ.
- ٩- أَنْ مِنْ أَسْبَابِهِ الإِلْحَاحُ عَلَى اللّهِ فِيهِ.

الحديثُ الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِيحَانَتِهِ ﷺ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

– زاوي الحديث:

أبو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ، وَلِدَ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، سِبْطُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرِيحَانَتُهُ، وَسَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ ﷺ، أَبُوهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأُمُّهُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْبَهَ النَّاسَ بِهِ.

بُويعَ بِالْخِلَافَةِ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ بَعْدَ وَفَاةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي الْكُوفَةِ. وَاسْتَمَرَّ بَعْدَ بَيْعَتِهِ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ نَحْوَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ تَنَازَلَ عَنْهَا لِصَالِحِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

ثُمَّ انْتَقَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَقِيَ فِيهَا حَتَّى مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَقِيلَ: سَنَةَ خَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ ﷺ وَعَنْ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ.

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ،

وَأَصْلٌ فِي الْوَرَعِ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُ الْمُتَّقِينَ، وَمُنْجٍ مِنْ ظَلَمِ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ
الْمَانِعَةِ مِنْ نُورِ الْيَقِينِ.

- قوله ﷺ: (دَعُ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ) يَا مَرْءَ اللَّهِ بِالْبُعْدِ عَنِ الْأُمُورِ
الْمَشْكُوكِ فِيهَا، وَالْأَخْذِ بِالْأُمُورِ الْمُتَيَقَّنِ مِنْهَا، وَبِهَذَا يَحْفَظُ الْمُسْلِمُ عَرْضَهُ مِنَ
الدَّمِّ، وَيَحْفَظُ نَفْسَهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ مِنَ الْقَلْقِ
وَالاضْطْرَابِ؛ لِأَنَّ الشُّبُهَاتِ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْقَلْقِ وَالاضْطْرَابِ فِي الْقَلْبِ،
وَيُؤَدِّي بِهِ إِلَى خُلُقِ الْوَرَعِ وَهُوَ عَمِيمُ النَّفْعِ فِي سِدِّ أَبْوَابِ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ،
عَظِيمِ الْجَدْوَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

- قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «وَهَا هُنَا أَمْرٌ يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لَهُ، وَهُوَ أَنْ التَّدْقِيقَ فِي
التَّوَقُّفِ عَنِ الشُّبُهَاتِ إِنَّمَا يَصْلُحُ لِمَنْ اسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهُ كُلُّهَا، وَتَشَابَهَتْ أَعْمَالُهُ
فِي التَّقْوَى وَالْوَرَعِ، فَأَمَّا مَنْ يَقَعُ فِي انْتِهَاكِ الْمُحَرَّمَاتِ الظَّاهِرَةِ، ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ
يَتَوَرَّعَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ دَفَائِقِ الشُّبُهَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ لَهُ ذَلِكَ، بَلْ يُنْكَرُ عَلَيْهِ،
كَمَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ: «يَسْأَلُونِي عَنْ
دَمِ الْبَعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا الْحُسَيْنَ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (هُمَا رِيْحَانَتَايَ مِنَ
الدُّنْيَا)».

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- تَرَكَ مَا يَكُونُ فِيهِ رَيْبَةٌ، وَالْأَخْذُ بِمَا لَا رَيْبَةَ فِيهِ.
- ٢- أَنْ تَرَكَ مَا يُرْتَابُ فِيهِ، فِيهِ رَاحَةٌ لِلنَّفْسِ وَسَلَامَتَهَا مِنَ الْقَلْقِ.

الحديثُ الثاني عشر

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ). حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا.

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

قال ابن رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الْأَدَبِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ إِمَامُ الْمَالِكِيَّةِ فِي زَمَانِهِ: جُمَاعُ أَدَبِ الْخَيْرِ وَأَرْمَتُهُ تَنْفَرَعُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ: قَوْلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلِّ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ)، وَقَوْلِهِ لِلَّذِي اخْتَصَرَ لَهُ فِي الْوَصِيَّةِ: (لَا تَغْضَبْ)، وَقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: (الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

– في الحديث أن من علامة كمال إسلام العبد واستقامته تركه ما ليس له به غرض من الأقوال والأفعال النافعة له في دينه أو دُنْيَاهِ، واقتصاره على ما يعنيه منها، والعناية شدة الاهتمام بالشيء.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ (رِيَاضِ الصَّالِحِينَ): (وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنِ جَمِيعِ الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ، وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكَهُ فِي الْمَصْلَحَةِ فَالْسُنَّةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَنْجُرُّ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ وَمَكْرُوهٍ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْعَادَةِ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ).

ومما هو ملاحظٌ ومعروفٌ أن المَقُولَةَ الطَّيِّبَةَ الْخَيْرَةَ الْمَوْزُونَةَ أَوْ الصَّمْتَ

يُعْطِي هَيْبَةً وَوَقَارًا لِشَخْصِيَّةِ الْمُسْلِمِ، وَكَثْرَةَ الْكَلَامِ وَالتَّرْتُّبَةَ وَالتَّدْخُلَ فِيْمَا لَا
يَعْنِي يَخْدِشُ شَخْصِيَّةَ الْمُسْلِمِ، وَيَقْلِلُ مِنْ قَدْرِهِ وَهَيْبَتِهِ فِي نَفُوسِ الْآخَرِينَ.

— مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- فِي الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى اسْتِثْمَارِ الْوَقْتِ بِمَا يَعُودُ عَلَى الْعَبْدِ بِالنَّفْعِ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

٢- كَمَا فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْبُعْدِ عَنِ سَفَاسِفِ الْأُمُورِ، وَالِاسْتِغَالِ بِمَعَالِي
الْأُمُورِ.

٣- كَمَا فِيهِ الْحَثُّ عَلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِهَا، وَذَلِكَ بِإِبْعَادِهَا عَمَّا
يَشِينُهَا مِنَ النَّقَائِصِ وَالرَّذَائِلِ.

٤- التَّدْخُلُ فِيْمَا لَا يَعْنِي يُؤَدِّي إِلَى الشِّقَاقِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْخِصَامِ.

الحديث الثالث عشر

عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). رواه البخاري ومسلم.

— راوي الحديث:

هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن عدي بن النجار رضي الله عنه، ولد في يثرب قبل الهجرة بعشر سنين، قتل أبوه في الجاهلية، وتزوجت أمه أم سليم ملكة بنت ملحان التجارية، وهي صحابية من أبي طلحة الأنصاري.

وما أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب، حتى دفعت أم سليم ابنها أنس للنبي ليقوم على خدمته، وعمره يومها عشر سنين، وقالت له: «يا رسول الله: هذا أنيسُ ابني غلامٌ لبيبٌ كاتبٌ، أتيتك به يخدمك، فادع الله له»، فقبله النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا له قائلاً: «اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه». وقد خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، وكانه صلى الله عليه وسلم بأبي حمزة.

ومات في البصرة في خلافة الوليد بن عبد الملك، سنة تسعين للهجرة.

— منزلة الحديث:

هذا الحديث من ضمن الأحاديث العظيمة التي عظمها العلماء؛ لأنه ينص على جماع آداب الخير، كما أنه ينص على الضابط لمعاملة الآخرين، وهو أنه يجب على الإنسان أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه.

- قَوْلُهُ ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ)، الْمُرَادُ بِالنَّفْيِ نَفْيُ كَمَالِ الْإِيمَانِ، وَنَفْيُ اسْمِ الشَّيْءِ عَلَى مَعْنَى نَفْيِ الْكَمَالِ مُسْتَفِضٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَقَوْلِهِمْ: فَلَانٌ لَيْسَ بِإِنْسَانٍ) وَيُقْصَدُ نَفْيُ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

- فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ الْخَيْرَ لِإِخْوَانِهِ، وَيَبْذُلَ مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ جُهْدٍ لِإِصَالِهِ لَهُمْ، وَكَذَلِكَ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبَةِ أَنْ يَسُوءَهُ وَيُحْزِنَهُ وَلَا يُرْضِيَهُ وَقُوعِ الشَّرِّ بِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ حُبَّ الشَّيْءِ مُسْتَلْزِمٌ لِبُغْضِ نَقِيضِهِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْأَوْلَى أَنْ يُحْمَلَ ذَلِكَ عَلَى عُمُومِ الْأُخُوَّةِ حَتَّى يَشْمَلَ الْكَافِرَ وَالْمُسْلِمَ، فَيُحِبُّ لِأَخِيهِ الْكَافِرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، مِنْ دُخُولِهِ فِيهِ الْإِسْلَامَ، كَمَا يُحِبُّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ دَوَامَهُ، وَلِهَذَا كَانَ الدُّعَاءُ بِالْهَدَايَةِ لِلْكَافِرِ مُسْتَحَبًّا).

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- أَنْ يُحِبَّ الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لَهَا.

٢- التَّرْغِيبُ فِي ذَلِكَ؛ لِنَفْيِ كَمَالِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ.

٣- أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَفَاوَتْوْنَ فِي الْإِيمَانِ.

٤- التَّعْبِيرُ بِ(أَخِيهِ) فِيهِ اسْتِعْطَافٌ لِلْمُسْلِمِ لِأَنَّ يَحْصُلَ مِنْهُ لِأَخِيهِ ذَلِكَ.

الحديثُ الرَّابِعُ عَشَرَ

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا يَأْخُذَ ثَلَاثٌ: الثَّيْبُ الرَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

– زاوي الحديث:

أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعودٍ الهذلي خليف بني زهرة المتوفى سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، صحابيٌ وفقهه ومقرئٌ ومحدثٌ، وأحدُ السابقين إلى الإسلام، ووَاحِدٌ مِمَّنْ هَاجَرُوا الْهَجْرَتَيْنِ إِلَى الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمِمَّنْ أَدْرَكُوا الْقِبْلَتَيْنِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي مَكَّةَ. وَقَدْ تَوَلَّى قِضَاءَ الْكُوفَةِ وَبَيْتَ مَالِهَا فِي خِلَافَةِ عُمَرَ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ رضي الله عنه أَجْمَعِينَ.

وقد كتب عمر رضي الله عنه إلى أهل الكوفة، فقال: «إني قد بعثت عمارة بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً، ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما، وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي».

– منزلة الحديث:

قال ابن حجر الهيتمي في منزلة الحديث: (وهو من القواعد الخطيرة

لَتَعْلَقُهُ بِأَخْطَرِ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ الدِّمَاءُ، وَبَيَانُ مَا يَحِلُّ مِنْهَا وَمَا لَا يَحِلُّ، وَأَنَّ الْأَصْلَ فِيهَا الْعِصْمَةُ، وَهُوَ كَذَلِكَ عَقْلًا؛ لِأَنَّهُ مَجْبُولٌ عَلَى مَحَبَّةِ بَقَاءِ الصُّورِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمَخْلُوقَةِ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ).

- مِمَّا يَدُلُّ عَلَى حُرْمَةِ دَمِ الْمُسْلِمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

- قَوْلُهُ ﷺ: (إِلَّا بِأَخْدَى ثَلَاثٍ) خِصَالٍ يَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ الْقَتْلُ بِهَا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ، وَهِيَ حِفْظُ النُّفُوسِ وَالْأَنْسَابِ وَالِدِينِ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (الثَّيْبُ الرَّانِي) أَجْمَعَ عُلَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ حَدَّ الرَّانِي الثَّيْبِ الرَّجْمُ حَتَّى يَمُوتَ، وَقَدْ رَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ مَاعِزًا وَالْغَامِدِيَّةَ.

وَفِي الْقُرْآنِ الَّذِي نُسِخَ لَفْظُهُ: وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ) أَجْمَعَ عُلَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، أَنَّ مَنْ قَتَلَ مُسْلِمًا عَمْدًا اسْتَحَقَّ الْقَتْلَ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ كِتَابُ رَبَّنَا: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، وَيُقْتَلُ قَاتِلُ الْعَمْدِ، سَوَاءً كَانَ الْقَاتِلُ أَوْ الْمَقْتُولُ ذَكَرًا أَمْ أُنْثَى، تَشْهَدُ لِذَلِكَ عَمُومُ نصوصِ الْكِتَابِ، وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ أَنَّهُ قَتَلَ يَهُودِيًّا قَتْلَ جَارِيَّةٍ.

وَيَسْقُطُ الْقِصَاصُ إِذَا عَفَا أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ، وَهُنَاكَ تَفَاصِيلٌ وَمَسَائِلٌ مَكَانَهَا كُتِبَ الْفِقْهُ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ) أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ مَنْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَأَصَرَ عَلَى كُفْرِهِ بَعْدَ الْإِسْتِثَابَةِ أَنَّهُ يُقْتَلُ، لِحَدِيثِ الْبَابِ، وَلَمَّا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ

بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ^(١).

وَقَدْ يُقْتَلُ الْمُسْلِمُ بِغَيْرِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ كَقَتْلِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ،
وَقَاطِعِ الطَّرِيقِ، وَالسَّاحِرِ، وَتَارِكِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ.

— مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- عِصْمَةُ دَمِ الْمُسْلِمِ إِلَّا إِذَا أَتَى بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ.
- ٢- أَنَّ حُكْمَ الزَّانِي الْمُحْصَنِ الْقَتْلُ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ.
- ٣- قَتْلُ الْقَاتِلِ عَمْدًا قِصَاصًا إِذَا تَوَفَّرَتْ شُرُوطُ الْقِصَاصِ.
- ٤- قَتْلُ الْمُرْتَدِّ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ، سَوَاءً كَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى.

(١) أخرجه البخاري.

الحديثُ الخامسَ عشرَ

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَبِيَّهُ). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

قَالَ الْحَافِظُ: وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ. اشْتَمَلَ الْحَدِيثُ عَلَى أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ تَجْمَعُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ الْفِعْلِيَّةِ وَالْقَوْلِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ حُسْنِ مُعَاشَرَةِ الْآخِرِينَ.

– قَوْلُهُ ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ) قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَعْنَى الْحَدِيثِ: إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَلْيُفَكِّرْ، فَإِنْ ظَهَرَ أَنَّهُ لَا ضَرَرَ عَلَيْهِ تَكَلُّمٌ، وَإِنْ ظَهَرَ أَنَّ فِيهِ ضَرَرًا أَوْ شَكَّ فِيهِ أَمْسَكَ.

– قَوْلُهُ ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فَلْيُفْعَلْ كَذَا وَكَذَا، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَدَابَ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ.

– قَوْلُهُ ﷺ: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ) الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ، وَالتَّهْيِي عَنْ إِيْدَانِهِ، وَقَدْ حَمَلَ ابْنُ عَمَرَ الْجَارَ عَلَى عُمُومِهِ، بِحَيْثُ يَشْمَلُ الْمُسْلِمَ وَغَيْرَهُ؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا ذَبَحَ شَاةً أَمَرَ أَنْ يُهْدِيَ مِنْهَا لِجَارِهِ الْيَهُودِيِّ، وَكَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي قِصَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ جَارِهِ الْيَهُودِيِّ. وَالْجِيرَانُ عَلَى مَرَاتِبٍ:

الجارُّ المسلمُ ذو الرَّحْمِ: وهذا له حَقُّ الجوارِ والإسلامِ والقِرابَةِ.

الجارُّ المسلمُ: وهذا له حَقُّ الجوارِ والإسلامِ.

الجارُّ غيرُ المسلمِ: وهذا له حَقُّ الجوارِ.

- قوله ﷺ: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)، يدلُّ على أنَّ إِكْرَامَ الضَّيْفِ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ، وَمِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَمَذْهَبُ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ اسْتِحْبَابُ الضِّيَافَةِ، وَمُدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ. وَأَمَّا مَذْهَبُ الْحَنَابِلَةِ وَاللَيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَابْنِ حَزْمٍ وَالشُّوْكَانِيَّ (١) وَغَيْرِهِمْ أَنُهَا وَاجِبَةٌ، وَمُدَّتُهَا يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالْكَمَالُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، لِحَدِيثِ أَبِي شَرِيحٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أُذُنَايَ وَأَبْصَرْتُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ، قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقَلِّ خَيْرًا أَوْ لِيَصُنْمَتْ) (٢).

سئل مالكُ بنُ أنسٍ عنه فقال: يُكْرِمُهُ، وَيُتْحِفُهُ، وَيَخْصِمُهُ، وَيَحْفَظُهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ضِيَافَةً.

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- التَّحْذِيرُ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ فَلَا يَتَكَلَّمُ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِمَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ

(١) وَقَالَ الشُّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْحَقُّ وَجُوبُ الضِّيَافَةِ، وَقَوْلُهُ: (فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ صَدَقَةٌ)، فَإِنَّهُ صَرِيحٌ أَنَّ مَا قَبْلَ ذَلِكَ غَيْرُ صَدَقَةٍ، بَلْ وَاجِبٌ شَرْعًا. كَمَا أَنَّ فِي الْحَدِيثِ تَحْدِيدَ مُدَّةِ الضِّيَافَةِ الْوَاجِبَةِ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَقَطْ، وَلَا يَجِلُّ لِلضَّيْفِ أَنْ يُخْرَجَ أَخَاهُ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ إِلَّا إِذَا عَلِمَ طَيِّبَ نَفْسِ أَخِيهِ لَهُ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

دِينِيَّةٌ أَوْ دُنْيَوِيَّةٌ.

٢- الْحَثُّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْجَارِ بِكُلِّ مَا يَنْفَعُهُ وَكَفِّ الْأَذَى عَنْهُ.

٣- الْأَمْرُ بِإِكْرَامِ الضَّيْفِ لِأَنَّ إِكْرَامَهُ مِنْ آدَابِ الْإِسْلَامِ وَخُلُقِ الْأَنْبِيَاءِ
وَالصَّالِحِينَ.

٤- أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ وَمِنْ الْآدَابِ السَّامِيَّةِ.

٥- فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى دُخُولِ الْأَعْمَالِ فِي مُسَمَّى الْإِيمَانِ.

٦- إِنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ مِنْ
أُمُورِهِ.

٧- إِنَّ الصَّمْتَ أَحْسَنُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُبَاحِ.

الحديثُ السادس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: (لا تغضب)، فردّد مراراً قال: (لا تغضب). رواه البخاري

– منزلة الحديث:

قال الجرداني: إن هذا الحديث عظيم، وهو من جوامع الكلم؛ لأنه جمع بين خيرَي الدنيا والآخرة، وذلك أنه أمر بالابتعاد عن أسباب الغضب الذي جماع الشرّ فيه، وجماع الخير بالتخلص منه.

– في الحديث حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الأسباب الجالبة للغضب المذموم على أمور الدنيا وهو ما كان في غير الحق، واتباعاً لهوى النفوس، والذي يتجاوز فيه العبد بقوله، فيشتّم ويقذف، ويجرح إخوانه بكلمات مؤذية.

كما يتجاوز فيه بفعله، فيضرب ويثلف أموال الآخرين كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)^(١).

فالشديد ليس الذي يصرع الناس بقوته البدنية، ولكن من ملك زمام نفسه عند الغضب، فلا يخرج منه قول ولا فعل إلا بما يوافق الحق والصواب.

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

وَالْخُلَاصَةُ: الغضبُ من شيمِ نفوسِ بني آدمَ؛ فلا يُدْمُ ولا يُمدَحُ إلا من جهةِ آثارِهِ ومقاصدِهِ.

علاجُ الغضبِ المذمومِ:

١- الدُّعاءُ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ هو الموقِّقُ والمعِينُ على زكاةِ النفوسِ ممَّا يُدْتَسِّهَا مِنْ أَدْرَانِ الرَّذِيلَةِ.

٢- ملازمةُ ذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، لأنَّ القلوبَ تَسْكُنُ وتطمئنُّ بذِكْرِهِ، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

٣- التَّدَاكُرُ بما وردَ مِنَ النُّصُوصِ فِي التَّرغِيبِ فِي كَظْمِ الغَيْظِ والبُعْدِ عَنْهُ، والتَّرهيبِ مِنْهُ. ووردتْ نصوصٌ أَذْكَرُ مِنْهَا: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، يُرَوِّجُهُ مِنْهَا مَا شَاءَ)^(١).

٤- التَّعَوُّدُ مِنَ الشَّيْطَانِ. لَمَّا جَاءَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا فَاشْتَدَّ غَضْبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ). فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ: تَعَوَّدُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: أَتَرَى بِي بَأْسٌ، أَمْجُنُونُ أَنَا، أَذْهَبُ.

٥- تَغْيِيرُ الوَضْعِ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ الغَاظِبُ، بِأَنْ يَجْلِسَ القَائِمُ أَوْ يَضْطَجِعَ. عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الغَضْبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ)^(٢).

٦- البعدُ عن أسبابِ الغضبِ.

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

– مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَالتُّصَحُّحِ وَالبَحْثِ عَنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَالْوُلُوجِ

فِيهَا.

٢- التَّحْذِيرُ مِنْ أَسْبَابِ الْغَضَبِ وَالأَثَارِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَيْهِ.

٣- تَكَرُّرُ الْوَصِيَّةِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْغَضَبِ ذَالٌّ عَلَى أَهْمِيَّةِ تِلْكَ الْوَصِيَّةِ، وَحَتَّى

يَعِيَهُ السَّمْعُ وَيُدْرِكَ أَهْمِيَّتَهُ.

٤- الْغَضَبَانُ مَسْئُولٌ عَنْ تَصْرُفَاتِهِ، فَإِذَا أَتَلَفَ مَا لَمْ يَحَالِ غَضَبُهُ ضَمَنَهُ، وَإِذَا

قَتَلَ تَتَرَّتْ عَلَيْهِ آثَارُ الْقَتْلِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا الدِّينُ.

الحديث السابع عشر

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته). رواه مسلم

– زاوي الحديث:

أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، صحابي من الأمراء، ولأه عمر بن الخطاب على حمص، ولما قتل عثمان بن عفان اعتزل الولاية، وعكف على العبادة. وقد كان فصيحاً حليماً حكيماً، قال عنه أبو الدرداء: «لكل أمة فقيه، وفقه هذه الأمة شداد بن أوس».

توفي رضي الله عنه في القدس في السنة الثامنة والخمسين من الهجرة، عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عاماً.

– منزلة الحديث:

قال النووي رحمه الله: «وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام؛ وذلك لأن هذا الحديث يدل على عموم الإحسان في كل شيء، ولعله أمر بإحسان القتلة وإحسان الذبحة على سبيل المثال، أو لحاجة البيان لذلك».

– قوله ﷺ: (إن الله كتب الإحسان) كتب بمعنى شرع وأوجب، فالكتابة

دِينِيَّةٌ شَرَعِيَّةٌ.

وَالْإِحْسَانُ ضِدُّ الْإِسَاءَةِ، وَيَأْتِي بِمَعْنَى الْإِتْقَانِ وَإِجَادَةِ الشَّيْءِ.
وَالْإِحْسَانُ مِنْهُ مَا يَكُونُ مَدْوُونًا: كَصَدَقَةِ التَّطَوُّعِ وَالْقِيَامِ بِمُسْتَحَبَّاتِ الصَّلَاةِ
وَالْحَجِّ وَغَيْرِهَا مِنَ الْفَرَائِضِ، وَمِنْهُ مَا هُوَ وَاجِبٌ: كَالْإِتْيَانِ بِالْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ
وَالْبَاطِنَةِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ) الْمَعْنَى: وَأَحْسِنُوا هَيْئَةَ الذَّبْحِ
وَهَيْئَةَ الْقَتْلِ.

وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى الْإِسْرَاعِ فِي إِزْهَاقِ النَّفْسِ الَّتِي يُبَاحُ إِزْهَاقُهَا عَلَى
أَسْهَلِ الْوُجُوهِ. وَأَسْهَلُ وَجُوهُ قَتْلِ الْآدَمِيِّ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ عَلَى الْعُنُقِ.
وَمِنَ الْإِحْسَانِ عَدَمُ الْمُثَلَّةِ بِالْمَقْتُولِ ابْتِدَاءً. لِمَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ،
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ نَهَى عَنِ النُّهْبَةِ وَالْمُثَلَّةِ. وَلَكِنْ إِذَا مَثَلَ بِالْمَقْتُولِ فَإِنَّهُ يُمَثَلُ
بِالْقَاتِلِ إِنْ طَلَبَ ذَلِكَ أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ، وَهَذَا قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَالْمَشْهُورِ
عَنْ أَحْمَدَ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُحَدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِخَ
ذَيْبِحَتَهُ) وَمِنَ الْإِحْسَانِ فِي الذَّبْحِ أَنْ يُرَاعِيَ الذَّبَائِحَ الشُّرُوطَ وَالْوَاجِبَاتِ
وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَهِيَ:

١- أَنْ تَكُونَ آلَةُ الذَّبْحِ حَادَّةً تُنْهَرُ الدَّمَ. قَالَ ﷺ: (مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذَكَرَ
اسْمُ اللَّهِ فَكُلُّ، لَيْسَ السِّنُّ وَالظُّفْرُ)^(١). وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: (وَلِيُحَدَّ أَحَدُكُمْ
شَفْرَتَهُ).

٢- قَطْعُ الْخُلُقُومِ وَالْمَرِيِّ وَالْوَدَجِينِ.

٣- التَّسْمِيَةُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وقوله ﷺ: (مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ).

٤- أَهْلِيَّةُ الْمَدَكِيِّ، بَأَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا عَاقِلًا بَالِغًا، أَوْ صَبِيًّا مُمَيِّزًا، أَوْ كِتَابِيًّا؛

لِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾.

٥- أَلَّا تُحَدَّ الشَّفْرَةُ أَمَامَ الذَّبِيحَةِ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا أَضْجَعَ

شَاةً، وَهُوَ يُحَدُّ شَفْرَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَتُرِيدُ أَنْ تُمَيِّتَهَا مَوْتَاتٍ؟ هَلَّا أَحَدَدْتَ

شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا)^(١).

— مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- الْحَتُّْ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ بِالْحَيَوَانِ.

٢- النَّهْيُ عَنِ الْمُثَلَّةِ بِالْإِنْسَانِ بَعْدَ قَتْلِهِ دُونَ وَجْهِ حَقٍّ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابِيهَقِي، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي ذَرِّ جُنْدَبَ بْنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) رواه الترمذي، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ».

- التَّقْوَى فِي اللُّغَةِ: اتِّخَاذُ وَقَايَةٍ وَحَاجِزٍ يَمْنَعُكَ وَيَحْفَظُكَ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ وَتَخْذَرُهُ. وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُعْرَفُهَا ابْنُ رَجَبٍ: «بَأَنْ يَجْعَلَ الْعَبْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَخْشَاهُ مِنْ رَبِّهِ؛ مِنْ غَضَبِهِ وَسَخَطِهِ وَعِقَابِهِ، وَقَايَةً تَقِيهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ فِعْلٌ طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابُ مَعَاصِيهِ».

- قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ) يَعْنِي: اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ حَيْثُ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ، وَفِي الْعَلَنِ حَيْثُ يَرَاكَ النَّاسُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ مُرَاقِبٌ لِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَهَذَا إِرْشَادٌ وَأَمْرٌ بِمُرَاقَبَةِ الرَّقِيبِ».

- قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: (وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا) يَدُلُّ الْحَدِيثُ أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ مِنَ الْعَبْدِ بَعْضُ التَّفْرِيطِ بِالطَّاعَاتِ، أَوْ الْوُقُوعِ بِالْمَنْهِيَّاتِ، فَعَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنْ يَقُومَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَإِنَّهَا تَمْحُو هَذِهِ السَّيِّئَةَ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا. وَيَشْهَدُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِهَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. فَالْحَسَنَاتُ تَمْحُو صَغَائِرَ الذُّنُوبِ، أَمَّا

الكِبَائِرَ فَلَا بُدَّ مِنَ التَّوْبَةِ.

- قوله ﷺ: (وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنِ) حُسْنُ الْخُلُقِ: «هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى» كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ.

مطلوب من الإنسان أن يعامل الناس جميعاً معاملة حسنة، فيعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه به؛ لقوله ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)^(١)، وقوله ﷺ: (فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْحَمَهُ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)^(٢).

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- كَمَا لَمْ نُصَحِّحِ الرَّسُولَ ﷺ لِأُمَّتِهِ، وَمَنْ ذَلِكَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ هَذِهِ الْوَصَايَا الثَّلَاثِ الْعَظِيمَةِ الْجَامِعَةِ.

٢- الْأَمْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْأَمَكِنَةِ وَالْأَزْمَانِ.

٣- الْحَثُّ عَلَى إِتِّبَاعِ السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ.

٤- أَنَّ الْحَسَنَاتِ تَمْحُو السَّيِّئَاتِ.

٥- الْحَثُّ عَلَى مُخَالَفَةِ النَّاسِ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ.

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) أخرجه مسلم.

الحديثُ التاسعَ عشرَ

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، فَقَالَ: (يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ). رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وفي روايةٍ غيرِ الترمذي: (أحفظِ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا).

– راوي الحديث:

عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ، ولدَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ وَمُحَدِّثٌ وَفَقِيهٌ وَحَافِظٌ وَمُفَسِّرٌ، وابنُ عَمِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَأحدُ الْمُكْثَرِينَ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ.

وَهَاجَرَ مَعَ أَبِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَبِيلَ فَتَحَ مَكَّةَ فَلَقُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِالْجُحْفَةِ؛ وَهُوَ ذَاهِبٌ لِفَتْحِ مَكَّةَ، فَرَجَعَا وَشَهِدَا مَعَهُ فَتَحَ مَكَّةَ، وَتُوفِيَ النَّبِيُّ

ﷺ وَعُمُرُهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَدْ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ ﷺ قِتَالَ الْخَوَارِجِ فِي النَّهْرَوَانَ، وَأَرْسَلَهُ عَلِيٌّ ﷺ إِلَى سِتَّةِ آلَافٍ مِنَ الْحُرُورِيَّةِ فَخَاوَرَهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ.
كُفَّ بَصْرُهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، فَسَكَنَ الطَّائِفَ، وَتُوْفِيَ بِهَا سَنَةً ثَمَانٍ وَسِتِينَ مِنْ الْهَجْرَةِ، وَعُمُرُهُ إِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ ﷺ أَجْمَعِينَ.

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «هَذَا الْحَدِيثُ يَتَضَمَّنُ وَصَايَا عَظِيمَةً، وَقَوَاعِدَ كَلْبِيَّةً مِنْ أَهَمِّ أُمُورِ الدِّينِ».

– قَوْلُهُ ﷺ: (احْفَظِ اللَّهَ)، حِفْظُ الْعَبْدِ لِلَّهِ يَكُونُ ذَلِكَ بَامْتِثَالِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنْ وَاجِبَاتٍ، وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الْمَنْهِيَّاتِ.

– قَوْلُهُ ﷺ: (يَحْفَظُكَ) مَنْ حَفِظَ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُهُ، لِإِنَّ الْجِزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَحَفِظَ اللَّهُ لِلْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا بِحِفْظِ مَصَالِحِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَحَفِظَ بَدَنَهُ وَوَلَدَهُ وَأَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَكَذَلِكَ بِحِفْظِ دِينِهِ وَإِيمَانِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ الْمُضِلَّةِ، وَالشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ عَلَى دِينٍ وَخُلِقَ.

– قَوْلُهُ ﷺ: (احْفَظِ اللَّهَ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ) مَنْ حَفِظَ اللَّهَ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، حَيْثُ تَوَجَّهَ يَحُوطُهُ بِعِنَايَتِهِ وَنَصْرِهِ وَحِفْظِهِ وَتَوْفِيقِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، وَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَقْتَضِي النَّصْرَ وَالتَّيْيِيدَ وَالْحِفْظَ وَالْإِعَانَةَ، كَمَا بَيَّنَّ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَهِيَ بِخِلَافِ الْمَعِيَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾، فَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ تَقْتَضِي عِلْمَهُ وَاطِّلَاعَهُ وَمُرَاقَبَتَهُ لِأَعْمَالِهِمْ، فَهِيَ مُقْتَضِيَّةٌ لِلتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ.

- قوله ﷺ: (وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ). المقصودُ بالسؤالِ هنا الدعاءُ، فيجبُ على المسلم أن لا يتوجَّهَ لغيرِ الله في الأمورِ التي لا يقدرُ على تحقيقِها إلا اللهُ، ومنَ وقعَ في ذلكَ وقعَ في الشركِ الذي نهى اللهُ عبادهُ عنه، قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ﴾.

- قوله ﷺ: (وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ) فيه أنه يجبُ على العبدِ أن يستعينَ باللهِ وخذَهُ على مَصلِحِ دينِهِ ودُنياه، فمنَ أعانَهُ اللهُ فهوَ المُعانُ المُوفِّقُ، ومنَ خذَلَهُ وتخلَّى عنه فهوَ الخاسرُ المُفلسُ؛ لذلكَ عَظَّمَ الأجرُ على كلمةٍ (لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

- قوله ﷺ: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ) فيه أنه يجبُ على العبدِ لا يُصيبُهُ منَ خيرٍ ونفعٍ إلا ما قَدَرَ عليه، فمنَ قَدَرَ اللهُ لَهُ نفعًا لو اجتمعَ أهلُ السَّماءِ والأرضِ على منَعِ النفعِ عنه لا يستطيعونَ إلى ذلكَ سبيلًا. دلَّ كتابُ المَلِكِ العَلامِ على مثلِ ذلكَ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾، وقالَ سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾.

والإيمانُ بالقضاءِ والقدرِ أصلٌ من أصولِ الإيمانِ وهو الاعتقادُ بأنَّ اللهَ عليمٌ بمقاديرِ الأشياءِ وأزمانِها قبلَ خلقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ كَتَبَهَا فِي اللُّوحِ المَحْفُوظِ قبلَ أن تُوجدَ ثُمَّ أوجَدَهَا بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ عَلَى وَفْقِ عِلْمِهِ السَّابِقِ.

لذلكَ قالَ ﷺ: (رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ) قالَ ابنُ رَجَبٍ: هوَ كِنَايَةٌ عَن تَقْدِيمِ كِتَابَةِ الْمَقَادِيرِ كُلِّهَا وَالْفِرَاقِ مِنْهَا مِنْ أَمَدٍ بَعِيدٍ؛ فَإِنَّ الْكِتَابَ إِذَا

فُرِعَ مِنْ كِتَابَتِهِ وَرُفِعَتِ الْأَقْلَامُ عَنْهُ وَطَالَ عَهْدُهُ، فَقَدْ زُفِعَتْ عَنْهُ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ
الْأَقْلَامُ الَّتِي كُتِبَ بِهَا مِنْ مِدَادِهَا، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ الَّتِي كُتِبَ فِيهَا بِالْمِدَادِ
المَكْتُوبِ فِيهَا، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْكِنَايَاتِ وَأَبْلَغِهَا.

- قَوْلُهُ ﷺ: (تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّحَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشِّدَّةِ) أَيِ احْفَظْ
حُقُوقَ اللَّهِ فِي حَالِ الْأَمْنِ وَالصِّحَّةِ وَالغِنَى وَالقُوَّةِ، لِتَجِدَ نَصْرَةَ اللَّهِ وَإِعَانَتَهُ لَكَ
عِنْدَمَا تَحِلُّ الشِّدَّةُ وَالصِّيقُ وَالْفَقْرُ وَالْمَرَضُ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ) قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «يَشْمَلُ النَّصْرَ
فِي الْجِهَادَيْنِ؛ جِهَادِ الْعَدُوِّ الظَّاهِرِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ الْبَاطِنِ. فَمَنْ صَبَرَ فِيهِمَا نُصِرَ
وَوَظَرَ بَعْدُوهُ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ فِيهِمَا وَجَزَعَ قَهْرَ وَصَارَ أَسِيرًا لِعَدُوِّهِ أَوْ قَتِيلًا لَهُ».

- قَوْلُهُ ﷺ: (إِنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) فِي الْحَدِيثِ يُؤَكِّدُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْكَرْبَ وَالْعُسْرَ لَا يَدُومَانِ لِمَنْ اخْتَسَبَ وَصَبَرَ، وَعَلِمَ أَنَّ مَا
أَصَابَهُ بِمَقْدُورِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا مَفَرَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتِقَامَ كَمَا أَمَرَ رَبُّهُ.

وَالْعُسْرُ وَالْكَرْبُ وَالصِّيقُ وَالشَّدَائِدُ تَصُقُّلُ الْمُسْلِمِ وَتُصَفِّيه مِنَ الشَّوَابِ،
وَتُعَلِّقُ قَلْبَهُ بِرَبِّهِ، وَتَجْعَلُ الْمُسْلِمَ يَتَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ، وَهَذَا مِنْ
أَعْظَمِ أَسْبَابِ إِزَالَةِ الْعُسْرِ.

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ شَدُّ انْتِبَاهِ الْمُتَعَلِّمِ وَتَهْيِئَتُهُ قَبْلَ إِعْطَائِهِ الْمَعْلُومَاتِ،
وَهَذَا مِنْ قَوْلِهِ: (يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ).

٢- الْحَثُّ عَلَى تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ وَتَعْلِيمِهِمْ أُمُورَ دِينِهِمْ.

٣- الْحَرَصُ عَلَى الْوَقْتِ وَاسْتِغْلَالُهُ بِمَا يَعُودُ بِالنَّفْعِ عَلَى الْمُكَلَّفِ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعْلُ وَقْتَهُ حَتَّى أَثْنَاءَ تَنَقُّلِهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى
آخَرَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ قَالَهَا لَابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَمَا كَانَ رَدِيفَهُ عَلَى الدَّابَّةِ.

٤- التَّخَلُّقُ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ مَعَ التَّعَقُّلِ وَأَخْذِ الْأَسْبَابِ، وَذَلِكَ مَنْ عَلِمَ
أَنَّ الضَّرَّ وَالنَّفْعَ بِيَدِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُصِيبُهُ مِنْ ضَرٍّ وَلَا نَفْعٍ إِلَّا مَا قَدَرَ
عَلَيْهِ، يَدْفَعُهُ ذَلِكَ إِلَى الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ.

٥- أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَمَنْ حَفِظَ حُدُودَ اللَّهِ حَفِظَهُ فِي دِينِهِ
وَدُنْيَاهُ.

٦- تَوَاضَعَهُ ﷺ وَمَلَأَتْهُ الصِّغَارُ.

الحديثُ العشرون

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

– زاوي الحديث:

هو أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري، صحابي ممن شهد بيعة العقبة الثانية، ولم يشهد غزوة بدر^(١)، وشهد غزوة أحد وما بعدها من المشاهد، وروى أحاديث كثيرة، وهو معدود من علماء الصحابة، نزل الكوفة، وسكن بها، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستخلفه علي على الكوفة لما سار إلى معركة صفين.

ثم عزله علي رضي الله عنه عنها، فرجع أبو مسعود إلى المدينة، ومات بها في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان.

– قوله: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى)، يعني: أن هذه الحكمة النبوية العظيمة، الداعية إلى الحياء، مما توارثه الناس عن أنبيائهم جيلاً بعد جيل، حتى وصلت إلى أول هذه الأمة المحمدية.

– قوله صلوات الله عليه: (إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ). للعلماء في مفهوم أمره صلوات الله عليه

(١) ولكن سُمي بدرًا لأنه نزل ماء بدر وسكن بجوارها.

أقوال؛ منها:

١- الأمر للتَّهْدِيدِ والوَعِيدِ، فيكون المعنى: إذا لم يكن عندك حياءً فاعمل ما شئت؛ فإنك مُعاقَبٌ مُجازيٌ على صَنِيعِكَ، وقد يكون في الدنيا أو الآخرة أو فيهما.

٢- الأمر فيه للإباحة؛ أي: إذا أرذت فعل شيءٍ فإن كان ممَّا لا تَسْتَحِي إذا فَعَلْتَهُ مِنَ اللَّهِ ولا من النَّاسِ فافْعَلْهُ، وإلا فلا.

٣- الأمر للإخبار، فيكون المعنى: أن المانع من فعل ما يَشِينُ العبدَ هو الحياءُ، فَمَنْ فَقَدَهُ انْهَمَكَ في معاصي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ومثُلُ ذلك قولُهُ: (فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ). فالأمر هنا؛ أي: تَبَوُّأُ مَقْعَدَهُ مِنْ نارِ جَهَنَّمَ. وهنا كلامٌ جميلٌ لِلخَطَّابِيِّ، ونصُّهُ: «الحكمة في التَّعبيرِ بلفظِ الأمرِ دونَ الخبرِ في الحديثِ أنَّ الَّذِي يَكْفُفُ الإنسانَ عن موافقةِ الشَّرِّ هو الحياءُ، فإذا تَرَكَهُ صارَ كالمأمورِ طبعًا بارتكابِ كلِّ شَرٍّ».

- الحياءُ^(١) ضَرْبانِ:

١ - حياءٌ جِبَلِيٌّ: وهو ما كان فِطْرَةً وَجِبَلَةً يَمُنُّ اللَّهُ بِهِ على مَنْ شاءَ مِنْ عبادِهِ، وهو مِنْ أعظمِ النِّعمِ، فنرى كثيرًا من النَّاسِ يَكْفُفُ عن القبايحِ والمعاصي، وقد لا يكون ذلك تَدِينًا، قال بعضهم: رَأَيْتُ المعاصِيَ نَدَالَةً فَتَرَكْتُهَا مُرْوَةً، فَاسْتَحَالَتْ دِيانَةً.

٢ - حياءٌ مُكْتَسَبٌ: وهو الَّذِي جَعَلَهُ الشَّارِعُ مِنَ الإيمانِ، وهو المُكَلَّفُ بِهِ دونَ الغَرِيزِيِّ، غيرَ أنَّ مَنْ كانَ فِيهِ غَرِيزَةٌ مِنْهُ فَإِنَّهَا تُعِينُهُ على المَكْتَسَبِ، إذا

(١) المراد به الحياء الممدوح، أما الحياء المذموم فقد عرفه القاضي عياض وغيره: «والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياءً شرعيًا، بل هو عجز ومهانة. وإنما يطلق عليه حياء؛ لمُشابهته للحياء الشرعي».

سُلبَ العبدُ الحياءَ المكتسبَ وغيرَ المكتسبِ لم يَبْقَ لَهُ ما يَمْنَعُهُ مِنَ الوقوعِ
في القبائحِ والمعاصي، ويُصْبِحُ العبدُ شيطانًا رجيماً يمشي على الأرضِ بِجُثَّةِ
آدميٍّ، نَسَأُ اللهُ السَّلَامَةَ.

– مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١ – يَدُلُّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ الْحَيَاءَ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَمَنْ كَثُرَ حَيَاؤُهُ كَثُرَ خَيْرُهُ
وَعَمَّ نَفْعُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ خَيْرُهُ.
- ٢ – الْحَيَاءُ الَّذِي يَعُوقُ مِنَ التَّعَلُّمِ وَطَلِبِ الْحَقِّ حَيَاءٌ مَذْمُومٌ.
- ٣ – وَاجِبٌ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يَسْعَى لِعَرَسِ خُلُقِ الْحَيَاءِ فِي أَبْنَائِهِ.
- ٤ – مِنْ فَوَائِدِ الْحَيَاءِ الْعِفَّةُ وَالْوَفَاءُ.
- ٥ – يُقَابِلُ الْحَيَاءَ الْوَقَاحَةُ، وَهِيَ خَصْلَةٌ مَذْمُومَةٌ تَدْعُو صَاحِبَهَا إِلَى فِعْلِ
الشَّرِّ وَالانْغِمَاسِ فِيهِ، وَالْمَجَاهِرَةَ بِالْمَعَاصِي، قَالَ ﷺ: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا
الْمُجَاهِرِينَ)^(١).
- ٦ – وَالْحَيَاءُ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبَةِ.

(١) متفق عليه.

الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي عَمْرٍو - وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ - سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: (قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ

- رَاوِي الْحَدِيثِ:

هُوَ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيُّ الطَّائِفِيُّ. لَهُ صُحْبَةٌ وَرَوَايَةٌ، وَكَانَ عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى الطَّائِفِ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا.

- قَوْلُ الرَّاوِي: (قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ) فِيهِ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ حِرْصًا عَلَى مَعْرِفَةِ الدِّينِ، وَهُمْ أَسْبَقُوا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَهَذَا السُّؤَالُ مِنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاصْبَحَ فِي ذَلِكَ؛ إِذْ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ هَذَا السُّؤَالَ الْعَظِيمَ، الَّذِي يُرِيدُ جَوَابَهُ جَامِعًا وَاصِحًا لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ) وَالِاسْتِقَامَةُ لُغَةً: الْاِعْتِدَالُ، وَشَرْعًا: هِيَ الْاِعْتِدَالُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَقِيدَةً وَقَوْلًا وَفِعْلًا وَالْمَدَاوِمَةُ عَلَى ذَلِكَ. وَفِيهِ أَمْرُهُ ﷺ أَنْ يَنْطِقَ بِلِسَانِهِ بِإِيمَانِهِ بِاللَّهِ الشَّامِلِ لِلْإِيمَانِ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَبِمَا جَاءَ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ وَالْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ؛ وَبَعْدَ إِيمَانِهِ وَيَقِينِهِ وَتَبَاتِهِ أَمْرٌ بِالِاسْتِقَامَةِ عَلَى هَذَا

الْحَقِّ وَالْهُدَى وَالِاسْتِمْرَارِ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، أَي: دَوْمُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، حَتَّى إِذَا وَافَاكُمُ الْأَجَلُ يُوَافِيكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى حَالٍ حَسَنَةٍ، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ثَوَابَ مَنْ آمَنَ وَاسْتَقَامَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

— مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى السُّؤَالِ عَنِ أُمُورِ دِينِهِمْ.
- ٢- حُسْنُ السُّؤَالِ مِنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ دَالٍ عَلَى كَمَالِ عَقْلِهِ وَرَغْبَتِهِ فِي الْوَصِيَّةِ الْجَامِعَةِ.

٣ الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

٤- مُلَازِمَةُ الْاسْتِقَامَةِ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى حَتَّى بُلُوغِ الْأَجَلِ.

الحديثُ الثاني والعشرون

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحَلَلْتُ الْحَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: (نَعَمْ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَمَعْنَى حَرَمْتُ الْحَرَامَ: اجْتَنَبْتُهُ، وَمَعْنَى أَحَلَلْتُ الْحَالَ: فَعَلْتُهُ مُعْتَقِدًا حِلَّهُ.

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

قال الجرداني: وهذا حديثٌ عظيمُ المَوقِعِ، وعليه مدارُ الإسلامِ لِجَمْعِهِ لَهُ؛ وذلكَ لأنَّ الأفعالَ إمَّا قَلْبِيَّةً أو بَدَنِيَّةً، وكلُّ منهما إمَّا مَأذُونٌ فِيهِ وَهُوَ الْحَالُ، أو مَمْنُوعٌ مِنْهُ وَهُوَ الْحَرَامُ، فإذا أَحَلَّ الشَّخْصُ الْحَالَ وَحَرَّمَ الْحَرَامَ فَقَدْ أَتَى بِجَمِيعِ وَطَائِفِ الدِّينِ، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ آمِنًا.

– قَوْلُهُ ﷺ: (أَرَأَيْتَ)، الهمزة للاستفهام، والمعنى: أَخْبِرْنِي وَأَفْتِنِي.

والسَّائِلُ هُوَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ الْخُزَاعِيُّ كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ عِنْدَ مُسْلِمٍ.

– الأُمُورُ الَّتِي سَأَلَ عَنْ دُخُولِهِ الْجَنَّةَ إِذَا فَعَلَهَا: الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَإِحْلَالُ الْحَالَ، وَتَحْرِيمُ الْحَرَامِ، وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، فَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْحَجَّ لَمْ يُذَكَّرْ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ فُرِضَ، وَلَمْ تُذَكَّرِ الزَّكَاةُ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ فَقِيرًا لَيْسَ

عِنْدَهُ مَالٌ يُرْزَقِي، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الزَّكَاةُ وَالْحَجُّ دَاخِلِينَ تَحْتَ إِحْلَالِ الْحَالِلِ
وَتَحْرِيمِ الْحَرَامِ.

- قوله ﷺ: (وَلَمْ أَرِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟) المعنى: لَمْ أَرِدْ عَلَى
أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ شَيْئًا مِنَ النَّوَافِلِ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ رَغِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فِي كَثِيرٍ مِنَ النَّوَافِلِ فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَغَيْرِهِمَا، فَأَجَابَهُ ﷺ بِنَعْمٍ. وَهَذَا دَلِيلٌ
عَلَى الْاِقْتِصَارِ عَلَى أَدَاءِ الْفُرُوضِ وَاعْتِقَادِ حِلِّ مَا أَحَلَّ، وَحُرْمَةِ مَا حَرَّمَ وَالامْتِنَاعَ
عَنْهُ يُدْخِلُ الْعَبْدَ الْجَنَّةَ.

وَإِنَّمَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ تَنْبِيهَهُ لِدَلِكِ تَسْهِيلاً وَتَيْسِيراً عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ لِقُرْبِ عَهْدِهِ
بِالْإِسْلَامِ.

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُدْخِلُ الْجَنَّةَ.
- ٢- أَنَّ الْأَعْمَالَ سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.
- ٣- بَيَانُ أَهْمِيَّةِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهَا عَمُودُ
الْإِسْلَامِ.

٤- بَيَانُ أَهْمِيَّةِ صِيَامِ رَمَضَانَ.

٥- أَنَّ الْمُسْلِمَ يُحِلُّ الْحَالِلَ مُعْتَقِداً حِلَّهُ، وَيَجْتَنِبُ الْحَرَامَ مُعْتَقِداً حُرْمَتَهُ.

٦- بَيَانُ بَطْلَانِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْبُدُ اللَّهَ رَغْبَةً
فِي الْجَنَّةِ وَخَوْفاً مِنَ النَّارِ، وَقَدْ قَالَ عَنْ خَلِيلِهِ: ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ التَّعْبِيرِ﴾.

الحديث الثالث والعشرون

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا). رَوَاهُ مُسْلِمٌ

- قوله ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ) الطُّهُورُ: إذا ضُمَّ أَوْلَهَا يُرَادُ بِهَا الْفِعْلُ، وَإِذَا فُتِحَ أَوْلَهَا يُرَادُ بِهَا الْمَاءُ الَّذِي يَنْتَهَرُ بِهِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الطَّهَارَةِ، وَهِيَ فِي اللَّغَةِ النَّظَافَةُ وَالنِّزَاهَةُ مِنَ الْأَدْنَسِ الْحَسِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ. وَشَرْعًا: فَعَلٌ مَا لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهِ.

شَطْرُ: الشَّطْرُ نِصْفُ الشَّيْءِ، وَشَطْرَتْهُ: جَعَلْتُهُ نِصْفَيْنِ، وَشَاطَرَهُ مَالَهُ: نَاصَفَهُ. الْمُرَادُ بِالطُّهُورِ إِزَالَةُ الْحَدَثَيْنِ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ بِالْمَاءِ أَوْ التَّيْمُمِ. وَالْمُرَادُ بِالْإِيمَانِ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَأْتِي بِمَعْنَى الصَّلَاةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾. وَالْمُرَادُ بِالآيَةِ: مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ صَلَاتَكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَالصَّلَاةُ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ، فَصَارَ الطُّهُورُ نِصْفَهَا بِهَذَا الْمَعْنَى. قَالَ النَّوَوِيُّ: «وَهَذَا الْقَوْلُ أَقْرَبُ الْأَقْوَالِ».

وقيل: المراد بالطُّهُورِ هُنَا هُوَ التَّطَهُّرُ بِتَرْكِ الشَّرِكِ وَالذُّنُوبِ وَالْمُؤَبِّقَاتِ؛

لأنه يأتي التطهر بهذا المعنى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، والمقصود يتطهرون من اللواط وغيره من الموبقات. وبما أن الإيمان شطران؛ فعل المأمورات، وترك المحظورات، فيكون ترك المحظورات تطهر، وبذلك يكون شطر الإيمان.

- قوله ﷺ: (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ) أي أنها تثقل ميزان العبد يوم القيامة، وذلك لما تتضمن من الثناء الحسن على الله؛ لما أنعم علينا من نعم ظاهرة وباطنة.

- قوله ﷺ: (وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أي لهما ثواب عظيم، كما قال بعض العلماء: لو قدر ثوابهما جسماً لملأ ما بين السماء والأرض.

والتسيخ: هو تنزيه الله عز وجل عن النقائص والعيوب، مع إثبات الكمال المطلق له عز وجل.

- قوله ﷺ: (وَالصَّلَاةُ نُورٌ) أي أنها ثورث قلب المصلي نور الهداية، وتجعل له فرقاناً يفرق به بين الحق والباطل، وكذلك ثورثه نوراً في الوجه، ونور الهداية، والنور يوم القيامة.

- قوله ﷺ: (وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ) البرهان: الحجّة الفاصلة بينة. دليل وحجّة على إيمان المتصدق واستقامته وصلاحه وطيب معدنه، وذلك أن النفوس تشح بالمال، فمن وقى شح نفسه وتصدق كان علامة على إيمانه، ولأن المنافق قد يصابي رياءً، ولا تسمح نفسه بإخراج الصدقة ليخيله وحرصه على المال.

- قوله ﷺ: (وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ) الصبر لغة: الحبس، وشرعاً: هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التسخط، والجوارح عن فعل ما يعضب الله. والضياء: قال ابن رجب: «والضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة

وإحراق كَصِيَاءِ الشَّمْسِ. بخلاف القمر؛ فإنه نورٌ مَحْضٌ فيه إشراقٌ بغيرِ
 إحراقٍ»، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾.
 ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَمَّا كَانَ الصَّبْرُ شاقًّا على النَّفْسِ يَحْتَاجُ إلى مُجَاهِدَةٍ
 النَّفْسِ وَحَبْسِهَا وَكَفِّهَا عَمَّا تَهْوَاهُ كَانَ ضِيَاءً.

والمرادُ بـ (الصَّبْرُ ضِيَاءً) كما قال النَّوويُّ: إِنَّ الصَّبْرَ محمودٌ، ولا يزالُ
 صاحِبُهُ مُسْتَضِيئًا مُهْتَدِيًا مُسْتَمِرًّا على الصَّوَابِ.
 - قوله ﷺ: (وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ). فَمَنْ تَعَلَّمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ،
 وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ، وانتهى عَمَّا بِهِ مِنْ مَحْظُورَاتٍ، ووقفَ عندَ حُدُودِهِ،
 كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ حُجَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَفِيعًا.

وَمَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ، وَلَمْ يَأْتِمْزْ بِمَا فِيهِ، كَانَ الْقُرْآنُ حُجَّةً عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ
 مسعودٍ: «وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ قَادَهُ إِلَى النَّارِ». وعنه قال: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ، فَيَكُونُ قَائِدًا إِلَى الْجَنَّةِ. أَوْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ
 سَائِقًا إِلَى النَّارِ».

- قوله ﷺ: (كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا) دَلَّ عَلَى أَنَّ
 كُلَّ إِنْسَانٍ إِمَّا سَاعٍ فِي هَلَاكِ نَفْسِهِ أَوْ فِي فِكَاحِهَا، فَمَنْ سَعَى فِي طَاعَةِ اللَّهِ
 فَقَدْ بَاعَ نَفْسَهُ لِلَّهِ وَأَعْتَقَهَا مِنْ عَذَابِهِ، وَمَنْ سَعَى فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى بَاعَ نَفْسَهُ
 بِالْهَوَانِ وَأَوْبَقَهَا بِالْإِتَامِ الْمُوجِبَةِ لِعُضْبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ.

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- بيانُ فضلِ الطُّهُورِ.
- ٢- بيانُ فضلِ التَّحْمِيدِ وَالتَّسْبِيحِ.
- ٣- إثباتُ المِيزَانِ وَوِزْنِ الْأَعْمَالِ.
- ٤- فضلُ الصَّلَاةِ، وَأَنَّهَا نُورٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

- ٥- فضل الصدقة، وأنها علامة على إيمان صاحبها.
- ٦- فضل الصبر، وأنه ضياء للصّابرين.
- ٧- الحث على العناية بالقرآن تعلماً وتدبراً وعملاً؛ ليكون حجة للإنسان.
- ٨- التحذير من الإخلال بما يجب نحو القرآن؛ لئلا يكون حجة عليه.
- ٩- الحث على كل عمل صالح يعتق الإنسان نفسه به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.
- ١٠- التحذير من كل عمل سيء يجعل صاحبه من أولياء الشيطان، ويفضي بصاحبه إلى النار.

الحديثُ الرَّابِعُ والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرِّ الْعَفَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُحْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنِّي عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي، إِنَّهَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ). رواه مُسْلِمٌ

- راوي الحديث:

أبو ذرٍّ جُنْدَبُ بْنُ جُنَادَةَ الْغِفَارِيُّ، صَاحِبِيٌّ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ. قِيلَ: إِنَّهُ رَابِعٌ أَوْ خَامِسٌ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَحَدُ الَّذِينَ جَهَرُوا بِالْإِسْلَامِ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

قَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ: «وَكَانَ رَأْسًا فِي الرُّهْدِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ، قَوْلًا بِالْحَقِّ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، عَلَى حِدَّةٍ فِيهِ».

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَكَسَّبُ مِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ، كَمَا كَانَ مُوَحِّدًا، وَلَا يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ. وَحِينَ بَلَغَتْهُ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَدْعُو لِلتَّوْحِيدِ فِي مَكَّةَ، سَارَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَكَانَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ.

وَشَهِدَ أَبُو ذَرٍّ فَتْحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَأَقَامَ فِي الشَّامِ. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الرَّبَذَةِ، وَمَاتَ فِيهَا سَنَةً وَاحِدَةً وَثَلَاثِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَأَلْحَدَهُ بِنَفْسِهِ، ﷺ أَجْمَعِينَ.

- هذا الحديث حديثٌ قُدْسِيٌّ، وَهُوَ مَا أَضَافَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. مِثْلَ أَنْ يَقُولَ الرَّاوي: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرُوهُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، أَوْ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى.

الْفَرْقُ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ:

١- الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنَ اللَّهِ لَفْظًا وَمَعْنَى، أَمَّا الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَفْظًا وَمِنَ اللَّهِ مَعْنَى.

٢- الْقُرْآنُ كُلُّهُ قَطْعِيٌّ الثُّبُوتِ؛ لِأَنَّهُ نُقِلَ بِالتَّوَاتُرِ، وَالْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ لَمْ يُنْقَلْ بِالتَّوَاتُرِ كَمَا أَنَّ مِنْهُ الصَّحِيحَ وَالضَّعِيفَ وَالْمَوْضُوعَ.

٣- الْقُرْآنُ يُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ لَمْ يُتَعَبَّدْ بِتِلَاوَتِهِ.

٤- تُسَمَّى الْجُمْلَةُ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةً، وَمَجْمُوعُ الْآيَاتِ الْمُسْتَقْلِلَةِ سُورَةً. وَهَذَا

لا يكون في الحديثِ القدسيِّ.

٥- لفظُ القرآنِ فيه إعجازٌ، تحدَّى اللهُ به فصحاءَ العربِ وبلغاءَهُمْ. وهذا

لا يكون في الحديثِ القدسيِّ.

الفرق بين الحديثِ القدسيِّ والتَّبويِّ:

ما قالَ ﷺ مِنْ أَحَادِيثَ وَحِيٍّ غَيْرِ مَنَلُو، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ

﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

والوحيُّ مُعْتَبَرٌ فِي جُمْلَةِ أَحَادِيثِهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مَكَلَّفٌ بَيَانِ الْقُرْآنِ،
وَالوحيُّ يُفْرَهُ عَلَى الصَّوَابِ، وَإِذَا لَمْ يُؤَفَّقْ فِي اجْتِهَادِهِ فَالوحيُّ يَقُومُهُ فِي
الْحَالِ. وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّ كُلَّ حَدِيثٍ بَعِينَهُ مُوحَى بِهِ، بَلْ إِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ
لَا تَخْرُجُ بِجُمْلَتِهَا عَنْهُ.

أَمَّا الْحَدِيثُ الْقَدْسِيُّ فَمَعْنَاهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَطْعاً وَلَفْظُهُ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ.

- قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ
بَيْنَكُمْ وَمِحْرَمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا) الظُّلْمُ: وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. وَقَدْ حَرَّمَهُ
اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَعَهَا مِنْهُ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَقَعُ مِنْهُ
الظُّلْمُ أَبَدًا؛ لِكَمَالِ عَدْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ
ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَمَا رَبُّكَ يَظْلِمُ لِلْعَبِيدِ﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
النَّاسَ شَيْئًا﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾، أَي: لَا يَخَافُ نَقْصًا مِنْ
حَسَنَاتِهِ وَلَا زِيَادَةً فِي سَيِّئَاتِهِ، أَوْ تَحْمِيلَهُ سَيِّئَاتِ غَيْرِهِ، وَنَفْيُ الظُّلْمِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مُتَضَمِّنٌ لِإثْبَاتِ كَمَالِ عَدْلِهِ سُبْحَانَهُ.

وقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الظُّلْمَ، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدٌ نَفْسَهُ وَلَا يَظْلِمُ غَيْرَهُ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا

عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ) هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ فَقَرَاءٌ إِلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ فِي جَلْبِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضَّرِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وفيه الأمرُ بِسُؤَالِ اللَّهِ الْهِدَايَةَ، وَهِيَ تَشْمَلُ هِدَايَةَ الدِّلَالَةِ وَالْإِرْشَادِ، وَهِدَايَةَ التَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ، وَحَاجَةَ الْعِبَادِ إِلَى الْهِدَايَةِ أَشَدَّ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَقَدْ جَاءَ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فَهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُثَبِّتَهُمْ عَلَى الْهِدَايَةِ الْحَاصِلَةِ، وَأَنْ يَزِيدَهُمْ هُدًى عَلَى هُدًى.

وفيه الحثُّ على طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا.

وقوله: (كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ)، لَا يُعَارِضُ قَوْلَهُ: (خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءً)، وَفِي رَوَايَةٍ: (فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ). فَالْعَبْدُ مَفْطُورٌ عَلَى قَبُولِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ تَعَلُّمُ الْإِسْلَامِ بِالْفِعْلِ؛ لِأَنَّهُ قَبْلَ تَعَلُّمِهِ جَاهِلٌ لَا يَعْلَمُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُخَاطَبًا نَبِيَّهُ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾. وَالْمَقْصُودُ بِالْآيَةِ: وَجَدَكَ غَيْرَ عَالِمٍ بِمَا أُعْطَاكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدَى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾.

فَالْإِنْسَانُ يُوَلَّدُ مَفْطُورًا عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ، فَإِنْ هَدَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسَّرَ لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ الْهَدَى فَيَصِيرُ مَهْدِيًّا بِالْفِعْلِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَهْدِيًّا بِالْقُوَّةِ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَخْذُلَهُ سَلَطَ عَلَيْهِ مَنْ يُعْغِرُ فِطْرَتَهُ فَيُضِلُّهُ عَنِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ، قَالَ ﷺ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ

يُمَجِّسَانِهِ).

- قوله: (يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْبِي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي) يعني أَنَّ الْعِبَادَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُوصلُوا نفعاً وَلَا ضرراً؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي نَفْسِهِ غَنِيٌّ حَمِيدٌ، لَا حَاجَةَ لَهُ بِطَاعَاتِ الْعِبَادِ، وَلَا يَعُودُ نفعُهَا إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُمْ يَنْتَفِعُونَ بِهَا، وَلَا يَتَضَرَّرُ بِمَعَاصِيهِمْ، وَإِنَّمَا هُمْ يَتَضَرَّرُونَ بِهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَخْزِنَاكَ الَّذِينَ يُسَلِّعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً﴾، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾.

- قوله: (يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَأَنْسَكُمْ وَجَنَكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ). خَزَائِنُ اللَّهِ لَا تَنْقُذُ وَلَا يَنْقُصُهَا الْعَطَاءُ، وَلَوْ أَعْطَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ كُلَّ مَا سَأَلُوهُ.

- قوله: (يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْتُهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْتُكُمْ بِهَا). الْحَدِيثُ يُدَلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْصِي أَعْمَالَ الْعِبَادِ، ثُمَّ يَجْزِيهِمْ عَلَيْهَا، فَمَنْ آمَنَ وَعَمَلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءٌ الْحُسْنَى، وَمَنْ كَفَرَ وَعَصَى فَلَهُ سُوءُ الْعَاقِبَةِ.

- قوله: (فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) مَنْ وَجَدَ خَيْرًا بِسَبَبِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَمَنْ وَجَدَ عَاقِبَةَ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ فِي الدُّنْيَا فَعَلَيْهِ أَنْ يَلُومَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَسْتَغْفِرَ اللَّهَ وَيَتُوبَ إِلَيْهِ.

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- تَحْرِيمُ اللَّهِ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْهُ، مَعَ إِثْبَاتِ كَمَالِ صِدْقِهِ وَهُوَ الْعَدْلُ.

٢- تَحْرِيمُ اللَّهِ الظُّلْمَ عَلَى الْعِبَادِ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِغَيْرِهِمْ.

٣- شِدَّةُ حَاجَةِ الْعِبَادِ إِلَى سَوَالِ رَبِّهِمُ الْهُدَى وَالطَّعَامِ وَالْكَسْوَةَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

٤- أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

٥- كَمَا أَنَّ مَلِكَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ الْعِبَادَ لَا يَلْتَمِعُونَ نَفْعَهُ وَضَرَّهُ، بَلْ يَعُودُ نَفْعُهُمْ وَضَرُّهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ.

٦- أَنَّ الْعِبَادَ لَا يَسْلَمُونَ مِنَ الْخَطَا، وَأَنَّ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةَ مِنْ ذَلِكَ وَالِاسْتِغْفَارَ.

٧- أَنَّ التَّقْوَى وَالْفُجُورَ يَكُونَانِ فِي الْقُلُوبِ؛ لِقَوْلِهِ: (عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ)، وَ(عَلَى أَفْجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ).

٨- أَنَّ مَلِكَ اللَّهِ لَا تَزِيدُهُ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، وَلَا تُنْقِصُهُ مَعَاصِي الْعَاصِينَ.

٩- كَمَا أَنَّ غِنَى اللَّهِ وَكَمَالَ مُلْكِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ عِبَادَهُ أَوْلَاهُمْ وَأَخْرَهُمْ كُلَّ

مَا سَأَلُوهُ لَمْ يُنْقِصْ مِنْ مَلِكِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخَزَائِنِهِ شَيْئًا.

١٠- حَثُّ الْعِبَادِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَتَحْذِيرُهُمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ

مَحْصَى عَلَيْهِمْ.

١١- أَنَّ مَنْ وَقَفَهُ اللَّهُ لَطْرِيقِ الْخَيْرِ ظَفَرَ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْفَضْلُ

لِلَّهِ لِلتَّوْفِيقِ لِسُلُوكِ سَبِيلِ الْهُدَى، وَلِحَصُولِ الثَّوَابِ عَلَى ذَلِكَ.

١٢- أَنَّ مَنْ فَرَّطَ وَأَسَاءَ الْعَمَلَ ظَفَرَ بِالْخُسْرَانِ، وَنَدِمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمَ.

الحديث الخامس والعشرون

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: (أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟! إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَاتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ أَجْرٌ؟ قَالَ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَالِلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ

- في الحديث بيان ما كان عليه الصحابة الكرام من تنافسٍ وحرصٍ على ما يقربهم ويرفع درجاتهم عند الله؛ لذلك أتى فقراء الصحابة رسول الله ﷺ وبيئوا له بأن إخوانهم التجار قد سبقوهم بالأجور والدرجات العلى، وذلك أنهم عندهم فضلٌ من مالٍ، فيحججون ويعتمرون ويتصدقون ويجاهدون، وهم لا يستطيعون ذلك، فما السبيل للحاق بهم؟

وأما التنافس في أمور الدنيا فهو مذموم، وإذا تجاوز به العبد الحدود يكون سبباً في هلاكه وضعفه، قال ﷺ: (فَأَبَشِرُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلِكِنِّي أَخْشَى أَنْ تَبْسُطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بَسِطَتْ عَلَيَّ

مَنْ كَانَ قِبَالَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا؛ فَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»^(١).

- قوله ﷺ: (أَوْلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟! إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بَضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ الصَّدَقَةَ أَوْسَعُ مِنَ مَجْرَدِ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ، كَمَا جَاءَ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ)^(٢)، فَالصَّدَقَةُ تُطْلَقُ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ، وَهَذَا الْمَعْنَى الْوَاسِعُ لِلصَّدَقَةِ خَفِيَ عَلَى فَقَرَاءِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: (أَوْلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟!).

- قوله ﷺ: (وَفِي بَضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ). البَضْعُ: يُطْلَقُ عَلَى الْجَمَاعِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْفَرْجِ نَفْسِهِ. «وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُبَاحَاتِ تَصِيرُ طَاعَاتٍ بِالنِّيَّاتِ الصَّادِقَاتِ، فَالْجَمَاعُ يَكُونُ عِبَادَةً إِذَا نَوَى بِهِ قِضَاءَ حَقِّ الزَّوْجَةِ وَمُعَاشَرَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، أَوْ طَلَبِ وَلَدٍ صَالِحٍ، أَوْ إِعْفَافِ نَفْسِهِ أَوْ إِعْفَافِ الزَّوْجَةِ وَمَنْعَهُمَا جَمِيعًا مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْحَرَامِ، أَوْ الْفِكْرِ فِيهِ، أَوْ الْهَمِّ بِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الصَّالِحَةِ».

- قوله: (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَاتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ). قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ جَوَازُ الْقِيَاسِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً، وَلَمْ يُخَالِفْ فِيهِ إِلَّا أَهْلُ الظَّاهِرِ.

وَالْقِيَاسُ فِي اللُّغَةِ، هُوَ التَّقْدِيرُ لِلشَّيْءِ بِمَا يُمَازِلُهُ، وَأَمَّا فِي اصْطِلَاحِ الْأُصُولِيِّينَ: «هُوَ الْإِحَاقُ وَاقِعَةٌ لَا نَصَّ عَلَى حُكْمِهَا بِوَاقِعَةٍ وَرَدَّ نَصٌّ بِحُكْمِهَا فِي

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه مسلم.

الحُكْمُ الَّذِي وَرَدَ بِهِ النَّصُّ؛ لِتَسَاوِيِ الْوَاقِعَتَيْنِ فِي عِلَّةِ هَذَا الْحُكْمِ». وهذا التَّوَعُّعُ مِنَ الْقِيَاسِ الَّذِي وَرَدَ فِي هَذَا النَّصِّ يُسَمَّى عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ قِيَاسَ الْعَكْسِ، وَهُوَ إِثْبَاتُ عَكْسِ حُكْمِ الشَّيْءِ لِتَعَاكُسِهِمَا فِي الْعِلَّةِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: «وَاخْتَلَفَ الْأُصُولِيُّونَ فِي الْعَمَلِ بِهِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ لِمَنْ عَمَلَ بِهِ، وَهُوَ الْأَصْحَحُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

– مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى فِعْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالتَّنَافُسُ فِي الْخَيْرَاتِ.
- ٢- أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْمَالِ، وَإِنْ كَانَتْ أَصْلًا فِي ذَلِكَ.
- ٣- الْحَثُّ عَلَى التَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ، وَأَنَّ ذَلِكَ صَدَقَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِ عَلَى نَفْسِهِ.
- ٤- أَنَّ مَنْ عَجَزَ عَنِ فِعْلِ شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُكْتَفَرُ مِنَ الطَّاعَاتِ الَّتِي يَقْدِرُ عَلَيْهَا.
- ٥- الْحَثُّ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنَّهُ صَدَقَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ.
- ٦- أَنَّ قِضَاءَ الْإِنْسَانِ شَهْوَتَهُ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ يَكُونُ صَدَقَةً مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ.
- ٧- مُرَاجَعَةُ الْعَالَمِ فِيمَا قَالَهُ لِلتَّحْتِثِ فِيهِ.
- ٨- إِثْبَاتُ الْقِيَاسِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَبَّهَ ثُبُوتَ الْأَجْرِ لِمَنْ قَضَى شَهْوَتَهُ فِي الْحَلَالِ بِحُصُولِ الْإِثْمِ لِمَنْ قَضَاهَا فِي الْحَرَامِ، وَالَّذِي فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ قَبِيلِ قِيَاسِ الْعَكْسِ.

الحديثُ السادسُ والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ).
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

- قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ) مُفْرَدٌ سُلَامِيَّاتٍ، والمرادُ بها هنا جميعُ عظامٍ ومفاصلِ ابنِ آدَمَ التي يَتَرَكَّبُ منها.
وقد خَلَقَ الإنسانَ وتركيبَ عظامِهِ على هذا النَّحْوِ مِنْ أعظمِ نِعَمِ اللَّهِ على ابنِ آدَمَ، فيحتاجُ كُلُّ عَظْمٍ منها إلى شُكْرِ.
ثم ذَكَرَ بعدَ ذلكَ أمثلةً مِمَّا تحصلُ بِهِ الصَّدَقَةُ، وهي فِعْلِيَّةٌ وَقَوْلِيَّةٌ، وقاصِرَةٌ ومُتَعَدِّيَّةٌ، وجاءَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكَعَتَانِ يركَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى)^(١)؛ وَذَلِكَ أَنَّ صَلَاةَ هَاتَيْنِ الرَكَعَتَيْنِ يحصلُ بِهِمَا تحركُ المفاصلِ في هَذِهِ العِبَادَةِ وهي الصَّلَاةُ، فتكونُ مجزئةً عَنِ الصَّدَقَاتِ في هَذَا اليومِ.
وَكلُّ قُرْبَةٍ يَأْتِي بِهَا الإنسانُ سِوَاءَ كَانَتْ قَوْلِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً فَهِيَ صَدَقَةٌ، وَمَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هَذَا الحَدِيثِ هُوَ مِنْ قَبِيلِ التَّمْثِيلِ لا الحَصْرِ، فالعَدْلُ بَيْنَ

(١) أخرجه مسلم.

الاثْنَيْنِ يَكُونُ فِي الْحُكْمِ أَوْ الصُّلْحِ بَيْنَ مُتَنَازِعِينَ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ قَوْلِيٌّ مُتَعَدِّ، وَإِعَانَةُ الرَّجُلِ فِي حَمَلِهِ عَلَى دَابَّتِهِ أَوْ حَمَلِ مَتَاعَهُ عَلَيْهَا هُوَ فِعْلِيٌّ مُتَعَدِّ، وَقَوْلُ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ يَدْخُلُ تَحْتَهُ كُلُّ كَلَامٍ طَيِّبٍ مِنَ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالْقِرَاءَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلِيٌّ قَاصِرٌ وَمُتَعَدِّ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا الْمُسْلِمُ إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ فِعْلِيٌّ قَاصِرٌ، وَإِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ مِنْ شَوْكٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ زُجَاجٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ فِعْلِيٌّ مُتَعَدِّ.

– مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- أَنْ عَلَى كُلِّ سَلَامَى مِنَ الْإِنْسَانِ كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، سِوَاءَ كَانَتْ قَاصِرَةً أَوْ مُتَعَدِّةً.

٢- الْحَثُّ عَلَى الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ بِالْعَدْلِ.

٣- حَثُّ الْمُسْلِمِ عَلَى إِعَانَةِ غَيْرِهِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، كَحَمَلِهِ عَلَى دَابَّتِهِ أَوْ حَمَلِ مَتَاعٍ عَلَيْهَا.

٤- التَّرغِيبُ فِي كُلِّ كَلَامٍ طَيِّبٍ مِنْ ذِكْرِ وَقِرَاءَةٍ وَتَعْلِيمٍ وَدَعْوَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

٥- فَضْلُ الْمَشْيِ إِلَى الْمَسَاجِدِ.

٦- فَضْلُ إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ.

الحديث السابع والعشرون

عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ). رواه مسلم.

وعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبُدٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: (جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟) قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ). حديث حسن، رواه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن.

– راوي الحديث:

* النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ الْكَلَابِيُّ الْأَنْصَارِيُّ، صَحَبَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَكَانَ حَرِيصاً عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَقَدْ قَالَ: أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ.

وَسَكَنَ الشَّامَ، وَمَاتَ سَنَةَ خَمْسِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ.

* وَابِصَةُ بْنُ مَعْبُدٍ بْنِ عْتَبَةَ الْأَسَدِيِّ، صَحَابِيُّ جَلِيلٌ، يُكْنَى: أَبُو سَالِمٍ، سَكَنَ فِي الْكُوفَةِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الرَّقَّةِ، وَمَاتَ بِهَا.

– منزلة الحديث:

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ: «هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ صلى الله عليه وسلم، بَلْ مِنْ

أَوْجَزَهَا؛ إِذِ الْبِرُّ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَخِصَالِ الْمَعْرُوفِ، وَالْإِثْمُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِ الشَّرِّ وَالْقَبَائِحِ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا؛ وَلِهَذَا السَّبَبُ قَابِلُ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَهُمَا وَجَعَلَهُمَا ضِدَّيْنِ».

- الْبِرُّ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَخِصَالِ الْمَعْرُوفِ.

- قَوْلُهُ ﷺ قَالَ: (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ) فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْبِرَّ بِحُسْنِ الْخُلُقِ لِأَهْمِيَّتِهِ وَعَظِيمِ شَأْنِهِ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ ﷺ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)، وَ (الْحَجُّ عَرَفَةٌ).

- الْإِثْمُ: الدَّنْبُ، وَهِيَ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِ الشَّرِّ وَالْقَبَائِحِ؛ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا.

- قَوْلُهُ ﷺ قَالَ: (وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) فِيهِ بَيْنَ ﷺ عَلَامَتَانِ لِلْإِثْمِ:

الأولى: شعور المرء بقلق واضطراب في نفسه، وعدم طمأنينة النفس.
الثانية: كراهية نظر أهل الفضل من الناس.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ) مَعْنَاهُ أَنَّ مَا لَمْ تَطْمَئِنَّ لَهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْفَتْوَى فَهُوَ إِثْمٌ، وَإِنْ أَفْتَاهُ الْمُفْتُونَ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِإِثْمٍ؛ لِأَنَّهُمْ يُصَدِّرُونَ فَتَاوَاهُمْ عَلَى ظَاهِرِ الْأُمُورِ لَا بِوَاطِنِهَا، وَالْإِنْسَانُ أَعْلَمُ بِبَاطِنِهِ مِنْ غَيْرِهِ.

وهذا يكون لمن نور الله قلبه بنور الإيمان، ومن عليه بطهارة النفس.
مثل ما قال النووي: الهدية إذا جاءتك من شخص غالب ماله حرام، وترددت النفس في حلها، وأفتاك المفتي بحل الأكل، فإن الفتوى لا تزيل الشبهة.

أما إذا كانت فتوى المفتي تستند إلى دليل شرعي، فيجب على المرء أن يتقيد بها وإن لم يطمئن قلبه. مثال ذلك: الرخصة بالفطر في السفر والمرض، وقصر الصلاة، ونحو ذلك مما قد لا ينشرح له الصدر. ثبت أن النبي ﷺ أمر

أصحابه بفسخ الحج إلى عمرة، ولم تنسخ صدورهم إلى ذلك، وكره بعضهم ذلك. وكذلك أمرهم بنحر الهدى والتحلل من عمرة الحديبية، وبعضهم كره ذلك.

والخلاصة ما ورد به نص شرعي يجب الانقياد له، سواء كرهته النفس واضطرب القلب به أم لا. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

— مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- بيان عظم شأن حسن الخلق.
- ٢- أن البر والإثم من الكلمات الجامعة.
- ٣- أن المسلم يقدم في أمور دينه على فعل ما هو واضح الحل دون ما هو مشتبه.

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي نَجِيحِ الْعَرِيَّاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ فَأَوْصِنَا، قَالَ: (أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا. فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ). رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

– راوي الحديث:

العرياض بن سارية السلمي من أعيان أهل الصفة، سكن حمص. وهو أحد البكائين الذين ورد فيهم في القرآن: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُوهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، وكان من المهاجرين.

مات سنة خمس وسبعين من الهجرة.

– قوله ﷺ: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون) الوعظ هو: التصح، والتذكير بالعواقب، وقال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما تليين به قلبه من ثواب وعقاب.

فالموعظة ما كان من الكلام فيه ترغيب وترهيب، يؤثر على النفوس ويبلغ القلوب، فتوجل من مخافة الله، وقد وصف العرياض عليه السلام هذه الموعظة بهذه الصفات الثلاث، التي هي البلاغة ووجل القلب وذرف العيون، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: «والبلاغة في الموعظة مستحسنة؛ لأنها أقرب إلى قبول القلوب واستجلابها، والبلاغة هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفصحها وأحلاها للأسماع وأوقعها في القلوب».

- قوله عليه السلام: (فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصينا) قال ابن رجب: يدل على أنه كان عليه السلام قد أبلغ في تلك الموعظة ما لم يبلغ في غيرها، فلذلك فهموا أنها موعظة مودع، فإن المودع يستقصي ما لم يستقص غيره في القول والفعل، ... وربما كان قد وقع منه عليه السلام تعريض في تلك الخطبة بالتوديع، كما عرّض بذلك في خطبة حجة الوداع، قال عليه السلام: (لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا).

لذلك طلب الصحابة الكرام وهم الحريصون على كل خير وصية جامعة يعهد بها إليهم رسول الله عليه السلام، يتمسكون بها ويعولون عليها؛ لأن الوصية عند الوداع لها وقع في النفوس.

- قوله عليه السلام: (أوصيكم بتقوى الله عز وجل) تقوى الله عز وجل أن يجعل المرء بينه وبين غضب الله وقاية تقيه منه، وذلك بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، وتصديق الأخبار، وهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وهي سبب كل خير وفلاح في الدنيا والآخرة.

- قوله عليه السلام: (وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ...) يدل الحديث

عَلَى أَنْ طَاعَةَ وُلاةِ الْأُمُورِ واجبةٌ، كما يشهد له قوله جلَّ وعلا: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وممَّا يشهد له كذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي)، والمقصودُ بؤلاةِ الأمرِ الشرعيينَ، الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَيْهَا ضَمَنَ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ، أمَّا المتسلطونَ عَلَى الْأُمَّةِ بالنَّارِ والحديدِ، فهؤلاء يَنْظُرُ لَطَاعَتِهِمْ مِنْ بابِ المصلحةِ والمفسدةِ.

أمَّا قوله ﷺ: (وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ) ليسَ فِيهِ جوازُ إمامةِ العبيدِ، لأنَّ العُلَمَاءَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ أَهْلًا لِلْخِلَافَةِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ ﷺ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ فِي لُزُومِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ لَمْ يَصِحَّ وَقُوعُهُ، كما قال ﷺ: (وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا - وَلَوْ كَمِفْحَصِ قِطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ - بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)، فَإِنَّ مِفْحَصَ الْقِطَاةِ لَا يَكُونُ مَسْجِدًا، وَلَا يَسَعُ فَرْدًا.

أو يَكُونُ كَلَامُهُ ﷺ مِنْ بابِ الإخبارِ بِالْغَيْبِ، لِمَا سَيَقَعُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَعْدِ عَن تَعَالِيمِ دِينِهِمُ الْحَنِيفِ، فَيُتَوَضَّعُ الْإِمَامَةُ الْعُظْمَى بِغَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَبِهَذِهِ الْحَالَةِ يَكُونُ أَمْرُهُ ﷺ بِطَاعَتِهِمْ مِنْ بابِ عَدَمِ إِثَارَةِ الْفِتَنِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى الْحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ عَادَةً يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْفِتَنِ النَّبِي لَا يَعْلَمُ عَوَاقِبَهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أو أَنَّ ذَلِكَ يَحْمَلُ عَلَى تَوَلِيَةِ الْخَلِيفَةِ عَبْدًا عَلَى قَرِيْبَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ التَّوَلِيَةِ حَرًّا، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ عَبْدٌ بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ.

- قوله ﷺ: (فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا) فِيهِ إِخْبَارٌ مِنْهُ لِمَا سَتَقَعُ فِيهِ الْأُمَّةُ مِنْ خِلَافٍ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ كَذَلِكَ عَن مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ رضي الله عنه قَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا، فَقَالَ: (أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ

سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)، وَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافٍ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَظَهَرَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْفِرَاقِ الصَّالَةِ، كَعُقْلَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ أَصْحَابِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ، الَّذِينَ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: سُبْحَانِي سُبْحَانِي، مَا فِي الْجُبَّةِ إِلَّا اللَّهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلوًّا كَبِيرًا.

- قَالَ ﷺ: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ) لَمَّا أَخْبَرَ ﷺ بِحُصُولِ التَّفَرُّقِ وَكَثْرَتِهِ، أَرْشَدَ إِلَى طَرِيقِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ، وَذَلِكَ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ ؓ، وَقَدْ وَصَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خِلَافَتَهُمْ بِأَنَّهَا خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ سَفِينَةَ ؓ: (خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ أَوْ مَلِكُهُ مَنْ يَشَاءُ)^(١)، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «وَالسُّنَّةُ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ، فَيَشْمَلُ ذَلِكَ التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَخُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ مِنْ الْأَعْتِقَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَهَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ الْكَامِلَةُ، وَلِهَذَا كَانَ السَّلْفُ قَدِيمًا لَا يُطْلَقُونَ اسْمَ السُّنَّةِ إِلَّا عَلَى مَا يَشْمَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَرَوَى مَعْنَى ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ يَخْصُ اسْمَ السُّنَّةِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَعْتِقَادَاتِ؛ لِأَنَّهَا أَصْلُ الدِّينِ، وَالْمُخَالَفُ فِيهَا عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ».

وَقَدْ حَثَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ بِقَوْلِهِ: (فَعَلَيْكُمْ)، وَهِيَ اسْمُ فِعْلٍ أَمْرٍ، ثُمَّ أَرْشَدَ إِلَى شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِهَا بِقَوْلِهِ: (عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ)، وَالنَّوَاجِدُ هِيَ الْأَضْرَاسُ، وَذَلِكَ مُبَالَغَةٌ فِي شِدَّةِ التَّمَسُّكِ بِهَا.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ) الْأُمُورُ الْمُحَدَّثَةُ فِي الدِّينِ: هِيَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ لَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَحَدَّرْنَا مِنْهَا

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

رسول الله ﷺ لأنها من أعظم أسباب الخلاف.

وقد وصف النبي ﷺ كل البدع بأنها ضلال، فلا يكون شيء من البدع حسناً؛ لعموم قوله: (وكل بدعة ضلالة)، وقد روى محمد بن نصر في كتابه السنة بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة)، وذكر الشاطبي في الاعتصام عن ابن الماجشون قال: سمعت مالكاً يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً»، وقال أبو عثمان النيسابوري: «من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة»، وأما حديث: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها)^(١) فهو محمول على القدوة الحسنة في الخير، كما هو واضح من سبب الحديث، وهو أن رسول الله ﷺ حث على الصدقة، فأتى رجل من الأنصار بصرّة كبيرة، فتابعه الناس على الصدقة، فعند ذلك قال رسول الله ﷺ ما قال، وهو محمول أيضاً على من أظهر سنة الرسول ﷺ وأحيأها، كما حصل من عمر رضي الله عنه في جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان، فإنه إظهاراً لسنة ﷺ؛ لأنه صلى بالناس قيام رمضان في بعض الليالي، وتركه خشية أن يفرض عليهم^(٢)، فلما توفي رسول الله ﷺ ذهب ما كان يخشى من الفرض لانقطاع التشريع بوفاته ﷺ، فبقي الاستحباب، فأظهره عمر رضي الله عنه أيضاً من سنة الخلفاء الراشدين، وما جاء عنه ﷺ من قوله: «نعم البدعة»^(٣)،

(١) أخرجه مسلم.

(٢) والحديث في البخاري.

(٣) أخرجه البخاري.

يريدُ إظهارَ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، يُرَادُ بِهِ الْبِدْعَةُ الْغَوِيَّةُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ زِيَادَةُ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْأَذَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ وَافَقَهُ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَهُوَ مِنْ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ بَدْعَةٌ، فَهُوَ مَحْمُولٌ إِنْ صَحَّ عَلَى الْبِدْعَةِ الْغَوِيَّةِ.

– مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- اسْتِحْبَابُ الْمَوْعِظَةِ وَالتَّذْكِيرِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّأْثِيرِ عَلَى الْقُلُوبِ.

٢- حِرْصُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى الْخَيْرِ؛ لَطَبَّهِمُ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- أَنَّ أَمْرَهُ مَا يُوصَى بِهِ تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ طَاعَتُهُ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.

٤- أَنَّ مِنْ أَمْرِهِ مَا يُوصَى بِهِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ.

٥- الْمُبَالَغَةُ فِي الْحَثِّ عَلَى لُزُومِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَلَوْ كَانَ الْأَمِيرُ عَبْدًا.

٦- إِخْبَارُ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ وُجُودِ الْاِخْتِلَافِ الْكَثِيرِ فِي أُمَّتِهِ، ثُمَّ حُصُولِهِ كَمَا أَخْبَرَ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٧- أَنَّ طَرِيقَ السَّلَامَةِ عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ فِي الدِّينِ لُزُومُ سُنَّتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ.

٨- بَيَانُ فَضْلِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَنْتَهُمْ رَاشِدُونَ مُهْدِيُونَ.

٩- التَّحْذِيرُ مِنْ كُلِّ مَا أُحْدِثَ فِي الدِّينِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ فِيهِ.

١٠- أَنَّ الْبِدْعَ كُلَّهَا ضَلَالٌ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهَا حَسَنًا.

١١- الْجَمْعُ بَيْنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ؛ لِقَوْلِهِ فِي التَّرْغِيبِ: (فَعَلَيْكُمْ)، وَفِي

الترهيب: (وإياكم).

١٢- بيان أهمية الوصية بتقوى الله والسمع والطاعة لولاة الأمور، واتباع السنن وترك البدع؛ لكون النبي ﷺ أوصى أصحابه بها بعد قوله عن موعظته: (كانت موعظة مودع فأوصنا).

الحديث التاسع والعشرون

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ﷺ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: (لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت) ثم قال: (ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل) ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴿۱﴾ ... حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿۲﴾ يَعْمَلُونَ ﴿۳﴾، ثم قال: (ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟) قلت: بلى يا رسول الله، قال: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)، ثم قال: (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟) قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: (كفّ عليك هذا)، قلت: يا نبي الله، وأنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: (ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم). رواه الترمذي وقال: «حديث حسن صحيح».

— راوي الحديث:

مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الْخَزْرَجِيُّ، صَحَابِيُّ وَفَقِيهٌ وَقَارِئٌ لِلْقُرْآنِ، أَسْلَمَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ سَنَةً، وَشَهِدَ بَيْعَةَ الْعُقَبَةِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ شَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْمَشَاهِدَ

كُلُّهَا، وَاسْتَبْقَاهُ فِي مَكَّةَ بَعْدَ فَتْحِهَا لِيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَيُفَقِّهَهُمْ، ثُمَّ بَعَثَهُ عَامِلًا عَلَى الْيَمَنِ بَعْدَ غَزْوَةِ تَبُوكِ.

وَبَعَدَ وَفَاةَ النَّبِيِّ ﷺ، شَارَكَ فِي فَتْحِ الشَّامِ، وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ سَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ الْهَجْرَةِ فِي طَاعُونَ عُمَاسِ.

- قول معاذ رضي الله عنه: «أَخْبَرَنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ» يَدُلُّ عَلَى حِرْصِ الصَّحَابَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَمَعْرِفَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي بِهَا حُصُولُ الْجَنَّةِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ النَّارِ، وَيَدُلُّ عَلَى وَجُودِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ لِيُظْفَرُوا بِالْجَنَّةِ وَيَسْلَمُوا مِنَ النَّارِ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَا يَقُولُهُ بَعْضُ الصُّوفِيَةِ أَنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ رَغْبَةً فِي جَنَّتِهِ وَلَا خَوْفًا مِنْ نَارِهِ، وَهُوَ بَاطِلٌ؛ لِحِرْصِ الصَّحَابَةِ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأَعْمَالِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمُبَاعِدَةِ مِنَ النَّارِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنِ خَلِيلِهِ: ﴿وَجَعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ سَبَبٌ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَقَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وفيه دليلٌ على أَنَّ الْأَعْمَالَ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: (لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ)^(١) فَمَعْنَاهُ كَمَا قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: (أَنَّ الْعَمَلَ بِنَفْسِهِ لَا يَسْتَحِقُّ بِهِ أَحَدٌ الْجَنَّةَ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ سَبَبًا لِذَلِكَ، وَالْعَمَلُ بِنَفْسِهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ، فَالْجَنَّةُ وَأَسْبَابُهَا كُلٌّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ).

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

- قوله ﷺ: (لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ) فِيهِ بَيَانٌ عَظِيمٌ مَنْزِلَةٌ هَذَا السُّؤَالِ وَأَهْمِيَّتِهِ وَالتَّشْجِيعِ عَلَى مِثْلِهِ؛ حَيْثُ وَصَفَ الرَّسُولَ ﷺ الْمَسْئُولَ عَنْهُ فِيهِ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ، وَمَعَ عَظَمِهِ وَمَشَقَّةِ الْإِتْيَانِ بِهِ فَقَدْ أَتَبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا يُبَيِّنُ سَهولَتَهُ وَيُسْرَهُ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ يَصْبِرُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَلَوْ شَقَّتْ عَلَى النَّفْسِ؛ لِأَنَّ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ حَمِيدَةٌ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، وَقَالَ ﷺ: (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) (١).

- قوله ﷺ: (تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ) أَجَابَ ﷺ بِأَنَّ الْقِيَامَ بِوَأَجَابَاتِ الدِّينِ وَأَرْكَانِهِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا.

- قوله ﷺ: (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ) بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ أَهْمِيَّةَ الْمَحَافَظَةِ عَلَى الْفَرَائِضِ وَالْوَأَجِبَاتِ، دَلَّهُ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى طُرُقِ الْخَيْرِ مِنَ النَّوَافِلِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، فَإِنَّ خَيْرَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى مَوْلَاهُمْ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْقِيَامِ بِوَأَجَابَاتِ الدِّينِ.

قوله ﷺ: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ)، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ: فَالْجُنَّةُ هِيَ مَا يَسْتَجِنُّ بِهِ الْعَبْدُ كَالْمِجَنِّ الَّذِي يَقِيهِ عِنْدَ الْقِتَالِ مِنَ الضَّرْبِ، فَكَذَلِكَ الصِّيَامُ يَقِي صَاحِبَهُ مِنَ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا كَانَ لَهُ جُنَّةٌ مِنَ الْمَعَاصِي، كَانَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جُنَّةٌ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَعَاصِي، لَمْ يَكُنْ لَهُ جُنَّةٌ فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّارِ.

قوله ﷺ: (وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ)، فِيهِ بَيَانٌ عَظِيمٌ شَأْنِ الصَّدَقَةِ النَّافِلَةِ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحِطُّ بِهَا الْخَطَايَا وَيُطْفِئُهَا بِهَا كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَالْخَطَايَا هِيَ الصَّغَائِرُ، وَكَذَلِكَ الْكِبَائِرُ مَعَ التَّوْبَةِ مِنْهَا.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ). ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١١﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فَصَلَاةُ اللَّيْلِ كَذَلِكَ تُطْفِئُ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ مِثْلَ الصَّدَقَةِ، وَالْمَقْصُودُ بِهَا قِيَامُ اللَّيْلِ، هَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمْعٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟) قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ) السُّؤَالُ بِقَوْلِهِ ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكَ؟) لِشِدَّةِ ذَهْنِ الْمُتَعَلِّمِ لِلْمَادَّةِ، وَجَعَلِهِ مُتَلَهِّفًا إِلَى الْإِجَابَةِ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ) وَالْمُرَادُ بِالْأَمْرِ الشَّانِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الشُّوْنِ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي بُعِثَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَأْسُهُ الْإِسْلَامُ وَالْمَقْصُودُ هُنَا الشَّهَادَتَانِ، وَمَنْزِلَةُ الشَّهَادَتَيْنِ مِنَ الدِّينِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا اجْتُنَّتِ الرَّأْسُ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ بَعْدَهُ، وَكَذَلِكَ مِنْ لَمْ يُقَرَّرَ بِالشَّهَادَتَيْنِ فَلَا دِينَ لَهُ وَلَا إِسْلَامَ.

وَقَدْ ذَكَرَ الصَّلَاةَ وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا عَمُودُ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ لَهَا فِي الدِّينِ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً، بِمَنْزِلَةِ عَمُودِ الْفِسْطَاطِ الَّذِي لَا يَقُومُ الْفِسْطَاطُ إِلَّا بِهِ، فَكَذَلِكَ لَا يَقُومُ لِلْعَبْدِ دِينَ بِدُونِ صَلَاةٍ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْجِهَادَ وَأَنَّهُ ذِرْوَةُ سَنَامِ الدِّينِ، وَالْجِهَادُ يُشْمَلُ جِهَادَ النَّفْسِ وَجِهَادَ الْأَعْدَاءِ مِنْ كُفَّارٍ وَمُنَافِقِينَ، وَهُوَ أَعْلَى وَأَرْفَعُ مَا فِي الدِّينِ؛ لِأَنَّ الْجِهَادَ تَعْلُو كَلِمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُظْهِرُ الدِّينَ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَيُقْمَعُ أَهْلَ الْبَاطِلِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.

- قوله ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكٍ ذَلِكُ كُلِّهِ؟) قلتُ: بلى يا رسولَ الله، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)، قلتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: (تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) فِيهِ أَنَّ أَصْلَ الْخَيْرِ مِنْ ضَبْطِ اللِّسَانِ، وَتَقْوِيمِهِ وَفَقَّ مَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ مَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى ضَبْطِ لِسَانِهِ فَقَدْ مَلَكَ زِمَامَ أَمْرِهِ، وَوُفَّقَ إِلَى خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

والمراد بحصائد الألسنة جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإنَّ الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ يَحْصُدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا زَرَعَ، فَمَنْ زَرَعَ خَيْرًا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ حَصَدَ الْكِرَامَةَ، وَمَنْ زَرَعَ شَرًّا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ حَصَدَ غَدَا النَّدَامَةَ، وَظَاهِرُ حَدِيثٍ مُعَاذٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ مَا يَدْخُلُ النَّاسُ بِهِ النَّارَ النَّطْقُ بِالسِّنِّتِهِمْ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّطْقِ يَدْخُلُ فِيهَا الشِّرْكَ وَهِيَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَدْخُلُ فِيهَا الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَهُوَ قَرِينُ الشِّرْكَ، وَيَدْخُلُ فِيهَا شَهَادَةُ الزُّورِ الَّتِي عَدَلْتَ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَدْخُلُ فِيهَا السِّحْرُ وَالْقَذْفُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ كَالْكَذْبِ وَالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَسَائِرُ الْمَعَاصِي الْفَعْلِيَّةِ لَا يَخْلُو غَالِبًا مِنْ قَوْلٍ يَقْتَرِنُ بِهَا يَكُونُ مُعِينًا عَلَيْهَا.

- قوله ﷺ: (تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ) بِكَسْرِ الْكَافِ مِنَ التَّكْلِ بِضَمِّ الثَّاءِ وَسُكُونِ الْكَافِ وَهُوَ فَقْدَانِ الْمَرْأَةِ وَلِدَهَا وَهِيَ كَلِمَةٌ كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُهَا لِلْإِنْكَارِ وَلَا يَرِيدُونَ حَقِيقَتَهَا كَقَوْلِهِمْ تَرَبَّتْ يَدَاكَ وَقَاتَلْتَ اللَّهَ.

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- حِرْصُ الصَّحَابَةِ ﷺ عَلَى الْخَيْرِ وَمَعْرِفَةِ مَا يُؤْصَلُ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعَدُ مِنَ النَّارِ.

٢- أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَوْجُودَتَانِ، وَهَمَا بَاقِيَتَانِ لَا تَفْنِيَانِ.

- ٣- أن عبادة الله يُرجى فيها دخول الجنة والسلامة من النار، وليس كما يقول بعض الصوفية: إن الله لا يُعبدُ رغبةً في جنّته ولا خوفاً من ناره.
- ٤- بيان أهمية العمل المُستولِ عنه، وأنه عظيم.
- ٥- أن الطريق الموصِل إلى النجاة شاق، وسلوكه يحصلُ بتيسير الله.
- ٦- أن أهمّ شيءٍ كُلف به الثقلان عبادة الله عزّ وجلّ، وقد أنزلت الكتب وأرسلت الرسل لذلك.
- ٧- أن عبادة الله لا تُعتبر إلاّ إذا بُنيت على الشهادتين، وهما مُتلازمتان، ولا يقبل العمل إلاّ إذا كان خالصاً لله، ومطابقاً لما جاء به رسول الله ﷺ.
- ٨- بيان عظيم شأن أركان الإسلام؛ حيث دلّ النبي ﷺ مُعاداً عليها من بين الفرائض التي فرضها الله.
- ٩- أن هذه الفرائض مرتّبة في أهميتها حسب ترتيبها في هذا الحديث.
- ١٠- الحثُّ على الإتيان بالنوافل مع الإتيان بالفرائض.
- ١١- أن من أهمّ ما يُتقرب به إلى الله بعد أداء الفرائض الصدقة والصوم وقيام الليل.

الحديثُ الثلاثون

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ - جُرْثُومِ بْنِ نَاشِرٍ رضي الله عنه عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنِ أَشْيَاءَ - رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ - فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا) حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ.

- رَاوِي الْحَدِيثِ:

هُوَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيُّ، وَأَشْهَرَ مَا قِيلَ فِي اسْمِهِ: جُرْثُومُ بْنُ نَاشِرٍ، وَهُوَ مِمَّنْ شُهِرَ بِكُنْيَتِهِ لَا بِاسْمِهِ، صَحَابِيُّ شَهِدَ صَلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَبَاعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَضَرَبَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِسَهْمِهِ يَوْمَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، وَشَارَكَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ وَأَرْسَلَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى قَوْمِهِ فَأَسْلَمُوا، وَنَزَلَ الشَّامَ، وَمَاتَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه أَجْمَعِينَ.

- مَنزِلَةُ الْحَدِيثِ:

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ: «حَدِيثُ أَبِي ثَعْلَبَةَ قَسَمَ فِيهِ أَحْكَامَ اللَّهِ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ: فَرَائِضَ، وَمَحَارِمَ، وَحُدُودَ، وَمَسْكُوتَ عَنْهُ، وَذَلِكَ يَجْمَعُ أَحْكَامَ الدِّينِ كُلِّهَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ السَّمْعَانِيِّ: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ كَبِيرٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ».

- قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا)، أَي أَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ

أشياءً وجعل فرضها حتماً لازماً، كالصلاة والزكاة والصيام والحج، فيجب على كل مسلم الإتيان بها كما أمر الله، دون ترك لها أو حصول إخلال في فعلها.

- قوله ﷺ: (وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها)، أي أن الله شرع أموراً هي واجبة أو مستحبة أو مباحة، فلا يتجاوز تلك الحدود إلى غيرها، فيقع في أمر حرام، وذلك كالمواريث التي بينها الله عز وجل في كتابه، فلا يجوز لأحد أن يتعداها وأن يأتي بقسمة تخالفها، وتأتي الحدود مراداً بها ما حرم الله، فيكون الواجب على المسلم أن لا يقربها، كما قال الله عز وجل: ﴿تَاكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾.

- قوله ﷺ: (وحرَّم أشياءً فلا تنتهكوها)، أي أن ما حرَّمه الله لا يجوز للمسلمين أن يفعلوا فيه، بل يتعين عليهم تركه، كما قال ﷺ: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه).

- قوله ﷺ: (وسكت عن أشياء - رحمة لكم غير نسيان - فلا تبحثوا عنها)، أي أن هناك أمور لم يأت النص عليها في الكتاب والسنة، فلا يشتغل في البحث عنها والسؤال عنها، وذلك مثل السؤال عن الحج في كل عام الذي أنكره الرسول ﷺ على السائل، وقال: (ذروني ما تركتكم؛ فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم)، وكالسؤال عن تحريم شيء لم يحرم، فيترتب عليه التحريم بسبب السؤال، كما ثبت بيان خطورته في الحديث عن رسول الله ﷺ، وبعد زمنه ﷺ لا يسأل الأسئلة التي فيها تنطع وتكلف، والمعنى سكت عن أشياء فلم يفرضها ولم يوجبها ولم يحرمها، فلا يسأل عنها، وقد قال الله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْحَبُوا بِهَا كُفْرِينَ﴾.

قال ابن رجب: «وأما المسكوتُ عنه، فهو ما لم يُذكر حكمُهُ بتحليلٍ ولا إيجابٍ ولا تحريمٍ، فيكونُ مَعْفُوًّا عَنْهُ لا حَرَجَ عَلَى فاعِلِهِ، وَعَلَى هَذَا دَلَّتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الْمَذْكُورَةُ هَهُنَا، كَحَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ وَغَيْرِهِ».

– مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- أَنَّ مِنَ شَرِيعَةِ اللَّهِ مَا هُوَ فَرَضٌ لَازِمٌ، يَجِبُ فَعْلُهُ وَعَدَمُ إِضَاعَتِهِ.
- ٢- أَنَّهُ يَجِبُ الْوُقُوفُ عِنْدَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ وَالْمُبَاحَاتِ، وَالْحَذَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُحْرَمَاتِ.
- ٣- أَنَّ كُلَّ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَى الْمُسْلِمِ تَرْكُهُ وَالْإِبْتِعَادُ عَنْهُ.
- ٤- أَنَّ مَا لَمْ يَأْتِ فِيهِ تَحْرِيمٌ وَلَا تَحْلِيلٌ فَهُوَ عَفْوٌ لَا يُسْأَلُ عَنْهُ.

الحديثُ الحادي والثلاثون

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ذلني على عملٍ إذا عملته أحببني الله وأحبنى الناس، فقال: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس).
حديثٌ حسنٌ، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

– راوي الحديث:

هو أبو العباس سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الساعدي الأنصاري، وقد كان أبوه من الصحابة الذين توفوا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أبناء المائة، ومات سنة واحدٍ وتسعين من الهجرة.

– في الحديث أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على كل خير، وأسبق الناس إلى كل خير، وقد حرص هذا الصحابي على معرفة ما يجلب له محبة الله ومحبة الناس، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال.

– قوله صلى الله عليه وسلم: (ازهد في الدنيا يحبك الله) الزهد: ضد الرغبة والحرص على الدنيا^(١).

(١) وقد كثرت مقالات السلف في تعريفهم للزهد، قال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول: الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة. والورع: ترك ما تخاف من ضرره في الآخرة. قال ابن القيم: وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع، وأجمعها.

وحقيقة الزهد في القلب، بأن يخرج حب الدنيا والحرص عليها والرغبة إليها من قلب العبد، فتصبح الدنيا في اليد وحب الله والآخرة في القلب، وليس معنى الزهد رفض الدنيا بالكليّة والابتعاد عنها، كان ﷺ إمام الزاهدين وله تسع نسوة، وكان داود وسليمان عليهما السلام من الزهاد ولهما من الملك ما ذكر الله، والصحابة ﷺ أيضاً كانوا من الزهاد ولهم من المال والنساء والبنين ما هو معروف.

- قوله: (وَأَزْهَدَ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ) يَعْلَمُنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ طَرِيقَ مَحَبَّةِ النَّاسِ، وَذَلِكَ بِالزُّهْدِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ. قَالَ الشَّافِعِيُّ:

فَإِنْ تَجْتَنِبُهَا كُنْتَ سَلْمًا لِأَهْلِهَا

وَإِنْ تَجْتَذِبُهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا

والإنسان بحاجة إلى محبة الناس إليه لأنه يشعر بسعادة وانسراح عندما يعيش بين ظهرائي أناس يحبونه، ويشعر بضيق وانقباض عندما يحيا بين قوم يكرهونه.

والداعي إلى الله أحوج ما يكون إلى محبة الناس له، لأنهم إذا أحبوه أحبوا بضاعته وقبلوها، ولكن ينبغي ألا يكون السعي لكسب محبة الناس على حساب الحق والعدل، فإن هذا لا يجوز في دين الله عز وجل، قال ﷺ: (مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَمَنْ أَسَخَطَ النَّاسَ بِرِضَا اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤَنَةَ النَّاسِ)^(١).

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- حِرْصُ الصَّحَابَةِ عَلَى مَا يَجْلِبُ لَهُمْ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَمَحَبَّةَ النَّاسِ.

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.

- ٢- إثباتُ صِفَةِ المَحَبَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
- ٣- أَنَّ الخَيْرَ للعبدِ فِي مَحَبَّةِ اللّهِ إِيَّاهُ.
- ٤- أَنَّ مِمَّا يَجْلِبُ مَحَبَّةَ اللّهِ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا.
- ٥- أَنَّ زَهْدَ المرءِ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ سَبَبٌ فِي مَحَبَّتِهِمْ إِيَّاهُ، فَيَحْصِلَ خَيْرُهُمْ وَيَسْلَمَ مِنْ شَرِّهِمْ.

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعِيدِ بْنِ سِنَانَ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ). حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالدَّارِقُطَنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا، وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ مُرْسَلًا عَنْ عَمْرٍو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَاسْقَطَ أَبُو سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يَقْوِي بَعْضُهَا بَعْضًا.

– زاوي الحديث:

هُوَ أَبُو سَعِيدٍ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سِنَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَلِدَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بَعَشْرٍ سِنِينَ، صَحَابِيُّ جَلِيلٌ، وَأَحَدُ الْمُكْثَرِينَ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ، وَلِأَبِيهِ مَالِكِ بْنِ سِنَانَ صُحْبَةٌ، وَقَدْ شَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ.

وَتُوفِيَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ. – الْحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى قَاعِدَةٍ مِنَ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ، وَهِيَ رَفْعُ الضَّرْرِ وَالضَّرَارِ، وَهُوَ خَيْرٌ بِمَعْنَى التَّهْيِ عَنِ الضَّرْرِ وَالضَّرَارِ.

– الضَّرْرُ ضِدُّ النَّفْعِ، وَهُوَ إِحْقَاقُ الْإِنْسَانِ مَفْسَدَةً بغيره بحيث لا ينتفع هو بذلك الإلحاق. فيكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر) أي لا يضر الرجل أخاه ابتداءً وهو ضدُّ النَّفْعِ منه.

وَأَمَّا الضَّرَارُ فَهُوَ إِحْقَاقُ الْإِنْسَانِ مَفْسَدَةً بِمَنْ أَضَرَّ بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْمُجَازَاةِ عَلَى وَجْهِ غَيْرِ جَائِزٍ. فيكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (ولا ضرار) أي لا يدخل أحدكم

الضَّرَرِ عَلَى الَّذِي ضَرَّهُ وَلَكِنْ يَعْفُو عَنْهُ^(١).

- دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَضُرَّ أَحَدًا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَا يَضُرُّ مَنْ ضَرَّهُ، أَوْ يَسُبَّ مَنْ سَبَّهُ، وَلَا يَضْرِبَ مَنْ ضَرَبَهُ، بَلْ يَطْلُبُ حَقَّهُ مَنْ الْحَاكِمِ مَنْ غَيْرِ مَسْبِيَّةٍ. وَأَكَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّهْيَ عَنِ ضَرْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ، قَالَ ﷺ: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ)، وَضُرُّ الْمُسْلِمِ بَعْرُضُهُ أَوْ مَالِهِ أَوْ نَفْسِهِ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِيمَا يَرُويهِ عَنْ رَبِّهِ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا).

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- بَيَانُ كَمَالِ الشَّرِيعَةِ وَحُسْنِهَا فِي رَفْعِ الضَّرْرِ وَالْإِضْرَارِ.

٢- أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَلَّا يَضُرَّ غَيْرَهُ وَلَا يُضَارَّهُ.

(١) وَقِيلَ: أَنَّ الضَّرَرَ إِلْحَاقُ الْإِنْسَانِ مَفْسُودَةً بِغَيْرِهِ بِحَيْثُ يَنْتَفِعُ هُوَ بِذَلِكَ الْإِلْحَاقِ، وَأَمَّا الْإِضْرَارُ فَهُوَ إِلْحَاقُ الْإِنْسَانِ مَفْسُودَةً بِغَيْرِهِ بِحَيْثُ لَا يَنْتَفِعُ هُوَ بِذَلِكَ الْإِلْحَاقِ.

وَقِيلَ: هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَالْمُرَادُ هُوَ التَّأَكِيدُ.

قِيلَ: إِنَّ الضَّرَرَ هُوَ الْأَسْمُ، وَالضَّرَارُ الْفِعْلُ، فَالْمَعْنَى أَنَّ الضَّرَرَ نَفْسُهُ مُنْتَفٍ فِي الشَّرْعِ، وَإِدْخَالُ الضَّرْرِ بِغَيْرِ حَقٍّ كَذَلِكَ.

الحديث الثالث والثلاثون

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ). حديثٌ حَسَنٌ، رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في الصحيحين.

– منزلة الحديث:

قال ابن دقيق العيد: (وهذا الحديث أصل من أصول الأحكام، وأعظم مرجع عند التنازع والخصام).

وقال النووي: (وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع).

– المقصود بالبيينة الشهادة، لأنها تكشف الحق، وهي دليل على صدق المدعي، وذلك أن الشهادة تعتمد على الحضور والمعينة لما ادعاه المدعي، وهي أضرب:

١- الزنا، قال تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمُونُ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ﴾، فشهادة الزنا يشترط فيها أن تكون أربعة من الرجال ولا تقبل شهادة النساء.

٢- القتل، والسرقه، والخمر، والقذف، وتسمى عند الفقهاء بالحدود، قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، فلا بد من شهادة رجلين، ولا تقبل

شهادة النساء، وألحق بعض الفقهاء الشهادة على التّكاح والطلاق مع الحدود، فلا بدّ من شاهدين.

٣- البيع والقرض والإجارة وغيرها من الحقوق الماليّة، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، فلا بدّ من شاهدين أو شاهدٍ وامرأتين لإثبات المدعى في الحقوق الماليّة.

٤- الرّضاع والولادة والبكارة، مثل هذه الأمور لا يطّلع عليها الرّجال تُقبَلُ شهادة النساء، وإن انفردن عن الرّجال، وقد تُقبَلُ شهادة المرأة الواحدة في بعض الأحيان:

كما جاء في صحيح البخاري عن عُقبَةَ بنِ الحارث: تزوّجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء فقالت أرضعنكُما، فأثبت النبي ﷺ فقلت: تزوّجت فلانة بنت فلان، فجاءتنا امرأة سوداء فقالت لي: إنني قد أرضعنكُما، وهي كاذبة، فأعرض عنه، فأثبتته من قبل وجهه قلت: إنها كاذبة، قال: (كيف بها وقد زعمت أنّها قد أرضعنكُما، دعهَا عنك). ففارقها عُقبَةُ ونكحت زوجاً غيره. والشاهد في الحديث أنّه لم يشهد بذلك إلا امرأة واحدة.

والبيّنة هي حُجّة المدعي، قال ﷺ: (البيّنة على المدعي).

وفي رواية مسلم: قال ﷺ للمدعي: (شاهدك)، فإذا أقام المدعي البيّنة استحقّ بها ما ادّعاه.

والحكمة في كون البيّنة على المدعي؛ لأنّه يدعي أمراً خفياً بحاجة إلى إظهار، والبيّنة دليل قويّ لإظهار ذلك.

حُجّة المدعي تقدّم على حُجّة المدعى عليه:

بعد عرض القضية على القاضي يُسأل المدعى عليه، فإن اعترف بما

نُسِبَ إِلَيْهِ قَضَى عَلَيْهِ الْقَاضِي؛ لِأَنَّ الاعْتِرَافَ حِجَّةً يُلْزَمُ بِهَا الْمَعْتَرِفُ، وَإِذَا أَنْكَرَ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ، طَلَبَ الْقَاضِي مِنَ الْمُدَّعِي إِقَامَةَ الْبَيِّنَةِ، فَإِنْ أَتَى بِهَا قَضَى لَهُ وَلَمْ يَعْتَدْ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِنْكَارِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ أَوْ أَيْمَانِهِ، فَإِنْ عَجَزَ الْمُدَّعَى عَنِ الْإِتْيَانِ بِالْبَيِّنَةِ، وَطَلَبَ مِنْ خَصْمِهِ أَنْ يَحْلِفَ، يَسْتَحْلِفُ الْقَاضِي الْمُدَّعَى عَلَيْهِ، فَإِنْ حَلَفَ بَرِيءٌ وَانْتَهَتْ قَضِيَّتُهُمَا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمُدَّعِي: (أَلَا بَيِّنَةٌ؟) قَالَ: لَا، قَالَ: (فَلَاكَ يَمِينٌ؟).
وَالْحَدِيثُ شَاهِدٌ عَلَى أَنْ حِجَّةَ الْمُدَّعِي مُقَدَّمَةٌ عَلَى حِجَّةِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ.

الْحُكْمُ بِالشَّاهِدِ مَعَ الْيَمِينِ:

إِذَا لَمْ يُقِمِ الْمُدَّعِي الْبَيِّنَةَ كَامِلَةً، بِأَنْ جَاءَ بِشَاهِدٍ وَاحِدٍ وَالدَّعْوَةُ لَا تَثْبُتُ إِلَّا بِشَاهِدَيْنِ، فَهَلْ يَقْبَلُ الْيَمِينُ بَدَلَ الشَّاهِدِ؟ يُقَضَى لَهُ بِشَاهِدٍ وَيَمِينٍ لَمَّا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى بِيَمِينٍ وَشَاهِدٍ. وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَالِكِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَالْحَنَابِلَةُ، وَإِسْحَاقُ، وَأَبُو ثَوْرٍ، إِلَّا فِي الْحُدُودِ وَالْقِصَاصِ.

تَحْلِيفُ الشُّهُودِ وَالْمُدَّعَى مَعَ إِقَامَتِهِ لِلْبَيِّنَةِ:

وَيَجُوزُ لِلْقَاضِي أَنْ يَحْلِفَ الشُّهُودَ وَالْمُدَّعَى وَلَوْ أَقَامَ الْبَيِّنَةَ إِذَا شَكَّ فِي أَمْرِهِمْ، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ: إِنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ أَحْمَدُ: قَدْ فَعَلَهُ عَلِيٌّ، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: أَيَسْتَقِيمُ هَذَا؟ فَقَالَ: قَدْ فَعَلَهُ عَلِيٌّ.

كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى، وَابْنُ الْقَيْمِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ قَاضِي قُرْطُبَةَ، وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ: وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى اسْتِحْلَافِ الشُّهُودِ عِنْدَ الْارْتِيَابِ بِشَهَادَتِهِمْ فِي الْوَصِيَّةِ فِي السَّفَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْبَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ﷻ، وهذه الآية لم يُنسخ العملُ بها عند جمهور السلفِ .
التكولُ عن اليمين:

إذا لم يَحْلِفِ المدعى عليه عندما يأمره القاضي، اعتبر نكوله هذا مثل الاعتراف والإقرار بدعوى المدعي؛ لأنه لو كان صادقاً في إنكاره لما توقّف على اليمين الواجبة عليه، والمسلم السويّ صاحب العقل والدين لا يمتنع عن أداء الواجب، وهذا ما ذهب إليه الأحناف، والحنابلة على تفصيلٍ عندهم فيما يُقبلُ فيه من الحقوق وفيما لا يُقبلُ أيمانُ المدعى عليه:

اليمينُ حجةُ المدعى عليه إذا لم يُقمِ المدعي البيّنة، وإذا حلفَ برئاً بها من دعوى المدعي، قال ﷺ: (وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدْعَى عَلَيْهِ)، وفي رواية مسلمٍ: (أَوْ يَمِينُهُ)، والحكمةُ في كونِ اليمينِ على المدعى عليه، لأنها أقلُّ قوّةً من البيّنة، كما أنه لا يدعى أمراً خفياً، وإنما هو يتمسك بالبراءة الأصليّة.

يُحْلِفُ كلُّ مدعى عليه إذا توجّهت عليه اليمينُ دونَ تفريقٍ بين مدعى عليه وآخر، وهذا ما ذهب إليه أحمد، والشافعي، وأبو حنيفة، وحجّتهم عمومُ الأحاديث الواردة في تحليف المدعى عليه. وأن يُحْلِفَ القاضي المدعى عليه بالله عزّ وجلّ، ولا يحلُّ تحليفه بغير ذلك، قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ).

يُستحبُّ للقاضي أن يعظّمَ من عليه الأيمانُ، ويُحدّره من عاقبة الأيمانِ الكاذبة، ويذكره بقوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ﷻ، وبقوله ﷺ: (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ).

قوله ﷺ: (وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ) فهذا ليس على الإطلاق فيستثنى منها:

١- في اللعانِ يقسمُ الرّوجُ المدعى.

- ٢- كذلك يقسمُ لو ادَّعى أَنَّهُ وطئَ في مدَّة الإيلاءِ.
٣- تاركُ الصَّلَاةِ إذا قالَ: صَلَّيْتُ في البيتِ.
٤- في القسامةِ، فَإِنَّ الأيمانَ تكونُ على المدَّعي مع اللوثِ.
- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- اشْتِمَالُ الشَّرِيعَةِ عَلَى حِفْظِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ.
٢- بَيَانُ الرَّسُولِ ﷺ الطُّرُقَ الَّتِي يُفْصَلُ فِيهَا بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ.
٣- إِذَا لَمْ يُقَرَّرِ المدَّعى عَلَيْهِ، فَإِنَّ عَلَى المدَّعي إِقَامَةَ البَيِّنَةِ عَلَى دَعْوَاهُ.
٤- إِذَا لَمْ تَقَمْ البَيِّنَةُ خَلْفَ المدَّعي عَلَيْهِ وَبَرَّتْ سَاحَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْلِفْ
فُضِيَ عَلَيْهِ بِالنُّكُولِ.

الحديثُ الرابعُ والثلاثونُ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ). رواه مسلمٌ

— سَبَبُ إِبْرَادِ أَبِي سَعِيدٍ لِلْحَدِيثِ:

عن طارق بن شهابٍ قال: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرَوَانُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تَرَكْتُ مَا هُنَالِكَ. فقال أبو سعيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ.

حَكْمُ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ:

— إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ الْأَصْلُ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ تَكُونَ فِرْقَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ مُتَصَدِّقَةً لِهَذَا الشَّانِ. أَهـ.

وقال ابنُ العربيِّ في تفسيره لهذه الآية: في هذه الآية والتي بعدها — يعني ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ — دليلٌ على أن الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ فرضٌ كفايةٌ، ومن الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ نصرَةٌ للدينِ

بإقامة الحجّة على المخالفين أهد.

فيجب على إمام المسلمين أن يُفَرِّغَ جماعةً ممّن لديهم الكفاءة والاستعداد لهذه المهمّة، فإذا قامت هذه الهيئة بواجبها سقط عن الباقيين.

وقد يكون فرض عين، كما قال النووي: ثمّ إنّه قد يتعيّن - يعني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكّن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في معروف.

ولكنّ ممّا ينبغي التنبية عليه أنّ الناس يتفاوتون في هذا الواجب، فالمسلم العامّي عليه القيام بهذا الواجب حسب قدرته وطاقته، فيأمر أهله وأبناءه ما يعلم من أمور الدين التي يسمّعها على المنابر وفي دروس الوعظ.

والعلماء عليهم من الواجب ما ليس على غيرهم، وذلك أنّهم ورثة الأنبياء، فإذا تساهلوا بهذه المهمّة دخل النقص على الأمة، كما حدث لبني إسرائيل. وأمّا واجب الحكّام في هذه المهمّة فعظيم؛ لأنّ بيدهم الشوكة والسُلطان التي يرتدع بها السواد الأعظم من الناس عن المنكر؛ لأنّ الذين يتأثرون بالوعظ قلة.

وتقصير الحكّام بهذه المهمّة طامة كبرى، حيث بسبب ذلك يفشو المنكر، ويجتري أهل الباطل والفسوق بباطلهم على أهل الحق والصّلاح. - أمّا إنكار المنكر بالقلب فمن الفروض العينية التي لا تسقط مهما كانت الحال، فالقلب الذي لا يعرف المعروف ولا يُنكر المنكر قلبٌ خربٌ خاوٍ من الإيمان.

سمع ابن مسعود رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال ابن مسعود: (هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر)،

يقصدُ ﷺ: معرفة المنكر والمعروف بالقلب واجبٌ لا يسقطُ عن أحدٍ، أمَّا باللسانِ واليدِ فوقَ الإستطاعةِ.

والرِّضَا بالمنكرِ مِنْ أَقْبَحِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، وَلَا تَبْرَأُ ذِمَّةُ الْعَبْدِ بِالْإِنْكَارِ بِالْقَلْبِ حَتَّى يَعْجَزَ عَنِ الْإِنْكَارِ بِالْيَدِ أَوْ اللِّسَانِ بِسَبَبِ ضَرِّ يَلْحَقُهُ فِي بَدَنِهِ أَوْ مَالِهِ، وَلَا طَاقَةَ لَهُ عَلَى تَحْمُلِ ذَلِكَ.

وإنكارُ المنكرِ بالقلبِ قليلُ الثَّمَرَةِ، بعكسِ التَّغْيِيرِ بِالْيَدِ أَوْ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ عَظِيمُ الْفَائِدَةِ.

فهمُ خاطيءُ:

يُخْطِئُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي فَهْمِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾، فَيُبْرِرُونَ عِزَّهُمْ وَتَقْصِيرَهُمْ فِي إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِهَا، وَلَقَدْ قَوْمَ الصِّدِّيقِ ﷺ فَهَمَّ هَوْلَاءُ حَيْثُ قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾، وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْتَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ).

وقال النووي: المذهبُ الصحيحُ عندَ المحققينَ في معنى الآيةِ: (إنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم)، مثلُ قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. وإذا كانَ كذلك: فمِمَّا كُلفَ به الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ، فإذا فعله ولم يمتثلِ المخاطبُ فلا عتبَ بعدَ ذلك على الفاعلِ، لكونه أدَّى ما عليه، فإنما عليه الأمرُ والنَّهيِ لا القبولُ، واللَّهُ أعلمُ.

الحكمةُ من مشروعيته:

١- حِفْظُ الْإِسْلَامِ مِنَ الشَّرِكِ وَالْبِدْعِ.

٢- إِبْتِهَاتُ مَعَانِي الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ فِي الْأُمَّةِ.

٣- إزالة عوامل الفساد والشّر من حياتنا، والقضاء عليها أولاً بأول.

٤- تهيئة الجو الصالح الذي تنمو فيه الآداب والفضائل وتختفي فيه

الردائل.

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- الإيمان، لأنّ هذا المقام مقام نصرّة للدين فلا يقوم به من ليس من

أهله.

٢- العدالة اشتراطها بعض الفقهاء، واستدلوا بقول الله: ﴿آتَاْمُرُوْا النَّاسَ

بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا

تَفْعَلُونَ ﴿٥﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. واستدلوا

أيضاً بحديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يؤتى بالرجل

يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه، فيدور بها، كما يدور الحمار

في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف

وتنهي عن المنكر. فيقول: بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر

وآتية).

والصحيح أنّ للفاسق أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر كما هو مذهب

جُمهور العلماء، لأنّ في اشتراط العدالة سداً لباب الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، ولهذا قال سعيد بن جبیر: إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر

إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء. لأنّه لا عصمة للصحابة فضلاً

عمّن دُونهم.

ولأنّ ترك الإنسان لبعض الفروض لا يسقط عنه فروضاً غيرها، كما أنّ

تركه للصلاة لا يسقط عنه الصيام، وكذلك من عمل المنكرات لا يسقط عنه

النهي عنها.

٣- إِذْنُ الْإِمَامِ، قَالُوا: لِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْتَارَ مَنْ يُحْسِنُ الْقِيَامَ بِهَذِهِ
الْمُهْمَةِ، وَلَكِنَّ جُمْهُورَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ إِذْنُ الْإِمَامِ.

٤- التَّكْلِيفُ، فَغَيْرُ الْمُكَلَّفِ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ.

٥- الْقُدْرَةُ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ).

وَلِذَلِكَ صَرَّحَ الْعُلَمَاءُ بِأَنَّ الْعَامَّةَ لَا تَأْمُرُ وَلَا تَنْهَى إِلَّا فِي الْأُمُورِ الْمَعْلُومَةِ
مِنَ الدِّينِ، وَالْمُنْكَرَاتِ الْمَشْهُورَةِ، وَأَمَّا الْأُمُورُ الْأَجْتِمَاعِيَّةُ وَالْأَجْتِهَادِيَّةُ الدَّقِيقَةُ
فَهِيَ مُوَكَّلَةٌ إِلَى الْعُلَمَاءِ.

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: الْعَامِيُّ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ لَا يَحْتَسِبَ إِلَّا فِي الْجَلِيَّاتِ الْمَعْلُومَةِ.

٦- أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ سَيُقْبَلُ نَصْحُهُ وَيُطَاعَ أَمْرُهُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ لَهُ حَالَاتٌ:

الأولى: إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيُطَاعُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، وَسَيُرْوَلُ الْمُنْكَرُ بِالْكَلْبِيَّةِ
أَوْ سَيُرْوَلُ وَيَحْدُثُ مُنْكَرٌ أَحْفَ مِنْهُ، وَجَبَ عَلَيْهِ النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

الثانية: إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يُطَاعَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ، أَوْ نَهَى عَنْهُ، أَوْ سَيُخْلَفُهُ مُنْكَرٌ
فِي دَرَجَتِهِ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ النَّهْيُ عَنْهُ، وَهُوَ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ بِحَسَبِ مَا يُؤَدِّيهِ اجْتِهَادُهُ.

الثالثة: إِنْ عَلِمَ أَنَّ الْمُنْكَرَ سَيُؤَدِّي إِلَى مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، فَإِنَّهُ يَحْرُمُ عَلَيْهِ
النَّهْيُ عَنْهُ.

شُرُوطُ وُجُوبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ:

أولاً: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ لَيْسَ لَهُ شُرُوطٌ خَاصَّةٌ، لِأَنَّهُ نَصِيحَةٌ وَإِرْشَادٌ وَتَعْلِيمٌ
لِلنَّاسِ، وَهُوَ جَائِزٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

ثَانِيًا: النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَغْيِيرِهِ لَهُ شُرُوطٌ لَوْجُوبِهِ، وَهِيَ كَمَا يَأْتِي:

١- وَجُودُ مُتَّكِرٍ، سِوَاءَ كَانَ الْفَاعِلُ مُكَلَّفًا أَمْ غَيْرَ مُكَلَّفٍ.

٢- أَنْ يَكُونَ الْمُنْكَرُ مَوْجُودًا وَقَدْ انْكَرَ أَوْ تَغْيِيرَ، وَأَمَّا بَعْدَ وَقُوعِهَا فَهُوَ وَقْتُ نَصِيحَةٍ أَوْ عِقَابٍ، وَالْعِقَابُ يَكُونُ مِنْ وِلْيِ الْأَمْرِ. قَالَ الْغَزَالِيُّ:
الْمَعْصِيَةُ لَهَا ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ مُنْصَرِمَةً، فَالْعُقُوبَةُ عَلَى مَا تَصَرَّمَ مِنْهَا حَدٌّ أَوْ تَعْرِيزٌ، وَهُوَ إِلَى الْوَلَاةِ لَا الْآحَادِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ تَكُونَ الْمَعْصِيَةُ رَاهِنَةً وَصَاحِبِهَا مُبَاشِرٌ لَهَا، كَلِبْسِهِ الْحَرِيرَ وَإِمْسَاكِهِ الْعُودَ وَالْخَمْرَ، فَإِنْطَالَ هَذِهِ الْمَعْصِيَةُ وَاجِبٌ بِكُلِّ مَا يُمَكِّنُ مَا لَمْ تَوَدَّ إِلَى مَعْصِيَةٍ أَفْحَشُ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا، ذَلِكَ يَتَّبِتُ لِلْآحَادِ وَالرَّعِيَّةِ.

الثَّلَاثَةُ: أَنْ يَكُونَ الْمُنْكَرُ مُتَوَقَّعًا كَالَّذِي يَسْتَعِدُّ بِكُنْسِ الْمَجْلِسِ وَتَرْبِيئِهِ وَجَمْعِ الرِّيَاحِينَ لِشَرْبِ الْخَمْرِ وَبَعْدَ لَمْ يُحْضَرِ الْخَمْرَ فَهَذَا مَشْكُوكٌ فِيهِ، إِذْ رُبَّمَا يَعُوقُ عَنْهُ عَائِقٌ فَلَا يَتَّبِتُ لِلْآحَادِ سُلْطَةً عَلَى الْعَاظِمِ عَلَى الشَّرْبِ إِلَّا بِطَرِيقَةِ الْوَعْظِ وَالنُّصْحِ، فَأَمَّا التَّغْيِيفُ وَالضَّرْبُ فَلَا يَجُوزُ لِلْآحَادِ وَلِلْسُلْطَاتِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَعْصِيَةُ عُمِلَتْ مِنْهُ بِالْعَادَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ، وَقَدْ أَقْدَمَ عَلَى السَّبَبِ الْمُؤَدِّي إِلَيْهَا، وَلَمْ يَبْقَ لِحُصُولِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا مَا لَيْسَ لَهُ فِيهِ إِلَّا الْإِنْتِظَارُ.

٣- أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا، لِقَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا)، فَلَوْ كَانَ مُسْتَتِرًا فَلَا يَجُوزُ التَّجَسُّسُ عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وَلَمَّا جَاءَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّبِيَّةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ)، وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كَدَّتْ نَفْسَهُمْ).

وَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ فُلَانًا تَتَقَطَّرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا، فَقَالَ، إِنَّا قَدْ

نُهَيْنَا عَنِ التَّجَسُّسِ، وَلَكِنْ إِنْ ظَهَرَ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذُ بِهِ. لِأَنَّ الْأَصْلَ أَنَّ مَنْ أَعْلَقَ
بَابَ دَارِهِ وَتَسْتَرَّ بِحَيْطَانِهِ فَلَا يَجُوزُ الدُّخُولُ عَلَيْهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ لِتَعْرِفَ الْمَعْصِيَةَ
إِلَّا أَنْ يَظْهَرَ فِي الدَّارِ ظُهُورًا يَعْرِفُهُ مَنْ هُوَ خَارِجُ الدَّارِ، كَظُهُورِ رَائِحَةِ الْحَمْرِ
وَأَصْوَاتِ السُّكَارَى، أَوْ أَخْبَرَ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ اسْتِخْبَارِ شَخْصَانٍ أَوْ شَخْصٍ وَاحِدٍ
عَلَى رَأْيٍ بِأَنَّ فُلَانًا يَرْتَكِبُ الْمَعَاصِيَ فِي بَيْتِهِ جَازَ دُخُولُ الْبَيْتِ دُونَ إِذْنِ.

– مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- وجوبُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وأنَّ به صلاحَ العبادِ
والبلادِ.

٢- أنَّ تغييرَ المنكرِ يكونُ على درجَاتٍ، مَنْ قَدِرَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا تَعَيَّنَ
عَلَيْهِ ذَلِكَ.

٣- التفاوتُ في الإيمانِ، وأنَّ منه القويُّ والضعيفُ والأضعفُ.

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْدُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا - وَيَشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ - بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ

- الحسد: الحسدُ تَمَنَّى زوالِ النعمةِ عن المحسودِ، مثلُ أن يريَ رجلٌ لأخيه نعمةً أو فضلًا، فيتمنى أن تزولَ عنه وتكونَ له دونَ أخيه. وهذا مرضٌ عظيمٌ نادرٌ أن يسلمَ منه عبدٌ، وذلك أنَّ الإنسانَ يكرهُ أن يفوقه أحدٌ في شيءٍ، فيجبُ على المسلمِ أن يسعىَ لتزكيةِ نفسه من هذا الداءِ الخبيثِ.

والحسدُ حرامٌ، وذلك لقوله ﷺ: (وَلَا تَحَاسَدُوا)، والحكمةُ في تحريمه: أنَّه اعتراضٌ على الله عزَّ وجلَّ، فلسانُ حالِ الحاسدِ يقولُ: كيفَ تنعمُ يا ربُّ على فلانٍ بجاهٍ أو مالٍ أو نعمةٍ ولم تنعمِ عليَّ؟! الحسدُ خلقُ أهلِ الكتابِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ

كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴿٤٠﴾، وَقَالَ تَعَالَى:
﴿أَمْرٌ يُحْسِدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

والمقصودُ بهم اليهودُ، حسدُوا رسولَ اللهِ ﷺ على ما مَنَّ عليه به من
الرِّسالةِ وغيرها، وحسدُوا أصحابه على الإيمانِ به.

قالَ ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ وغيرُهُما: حسدوه على النبوة، وأصحابه على
الإيمانِ به.

- الحسدُ المحمودُ: أن يتمنى المسلم ما مَنَّ اللهُ به على أخيه من
نعمةٍ من غيرِ تمني زوالها عنه، وهذا يُعرفُ بالغبطة، ولعله يندرجُ تحتَ بابِ
المنافسة، قالَ تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾، وهذا النوعُ من
الحسدِ مشروعٌ، قالَ ﷺ: (لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ
يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ
النَّهَارِ).

- قوله ﷺ: (وَلَا تَنَاجَشُوا)، ذهبَ جمعٌ من أهلِ العلمِ إلى تفسيره
بالنَّجَشِ في البيعِ، وهو: أن تُعرضَ السلعةُ في السُّوقِ فيزيدُ في سعرها من لا
يُريدُ شراءها، وإنَّما قصدَ بذلكَ نفعَ البائعِ وضرَّ المشتري بزيادةِ الثمنِ، وهذا
حرامٌ، ثبتَ في الصحيحين: (أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّجَشِ)، وقالَ ابنُ أبي أوفى:
النَّاجِشُ: أَكَلُ رِبَا خَائِنٌ، وقالَ ابنُ عبدِ البرِّ: أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ فَاعِلَهُ عَاصٍ
لِلَّهِ، وَاحْتَلَفُوا فِي حُكْمِ الْبَيْعِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِفَسَادِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِصِحَّةِ
الْبَيْعِ، وَهَذَا مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ، كَأَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ
فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ.

ومِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَ النَّجَشَ بِأَعْمٍ مِنْ ذَلِكَ؛ بِالْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ لِأَنَّ أَصْلَ النَّجَشِ
إِثَارَةُ الشَّيْءِ بِالْمَكْرِ وَالْحِيلَةِ وَالْمَخَادَعَةِ، فَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (وَلَا تَنَاجَشُوا)

أي لا تَحَدَعُوا بَعْضَكُمْ، وهذا الفهمُ تَشْهَدُ لَهُ نِصُوصٌ أُخْرَى، مِنْهَا قَوْلُهُ: (مَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا)، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحِيْقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَلَا تَبَاغَضُوا)، نُهَيْنا أَنْ نَفْعَ بِأَسْبَابِ التَّبَاغِضِ؛ لِأَنَّهُ نَقِيضُ الْحَبِّ الَّذِي أَمَرْنَا الْإِسْلَامَ بِهِ، وَهُوَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ حَرَامًا.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَلَا تَدَابَرُوا)، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: التَّدَابَرُ: الْمِصَادِمَةُ وَالْمُهْجَرَانُ، مَأْخُودٌ مِنْ أَنْ يُولِّي الرَّجُلُ صَاحِبَهُ دُبْرَهُ، وَيُعْرِضُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ، وَهُوَ التَّقَاطُعُ.

والتَّدَابَرُ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا وَاتِّبَاعِ حِظْوِظِ النَّفْسِ وَالْهَوَى لَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، قَالَ ﷺ: (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ).

أَمَّا الْهَجْرَانُ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ فَيَجُوزُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، نَصَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالْحِجَّةُ فِي ذَلِكَ قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا وَهُمْ: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهَالِلُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعُمَرِيُّ.

وَهَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ شَهْرًا، وَذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ أَنَّ هَجْرَانَ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ وَالزَّوْجِ لَزَوْجَتِهِ، وَمَا كَانَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ تَأْدِيبًا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ فِيهِ عَلَى الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَلَا يَبِعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ)، قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِهِ لِلْحَدِيثِ: أَنْ يَبِيعَ أَحَدُ النَّاسِ سَلْعَةً مِنَ السِّلْعِ بِشَرْطِ الْخِيَارِ لِلْمَشْتَرِي، فَيَجِيءُ

آخِرُ يُعْرِضُ عَلَى هَذَا أَنْ يَفْسَخَ الْعَقْدَ لِيَبِيعَهُ مِثْلَ مَا اشْتَرَاهُ بِثَمَنِ أَقْلٍ. وَهَذَا الصَّنِيعُ فِي حَالَةِ الْبَيْعِ أَوْ الشِّرَاءِ صَنِيعٌ آثِمٌ، مِنْهُيَّ عَنْهُ لِكَنِّهِ لَا يُبْطَلُ الْعَقْدُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَآخِرِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)، يَأْمُرُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنْ نَكُونَ إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ، وَعَبِيدًا لِلَّهِ، مُجْتَنِبِينَ مَا نَهَانَا اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حَسَدٍ وَتَبَاغُضٍ وَتَدَابِرٍ

وَبَيْعٍ عَلَى بَعْضِنَا الْبَعْضِ، مِمْتَثِلِينَ مَا أَمَرْنَا بِهِ مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تَوَثَّقُ

عَرَى الْأَخْوَةَ وَالْمَحَبَّةَ، مِنْ تَزَاوُرٍ، وَتَهَادٍ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَالْقِيَامِ بِأَدَاءِ حَقُوقِ بَعْضِنَا الْبَعْضَ.

– قَوْلُهُ ﷺ: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ)، يُبَيِّنُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ حَقُوقِ أَخْوَةَ الْإِسْلَامِ:

١- يَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَظْلِمَ أَخَاهُ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الظُّلْمِ سِوَاءَ بِيَدِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ عَرَضِهِ.

٢- يَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَخْذُلَ أَخَاهُ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَصْرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟! قَالَ: (تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ).

٣- الصِّدْقُ مَعَ الْمُسْلِمِ فِي الْحَدِيثِ؛ فَلَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْدِثَ أَخَاهُ حَدِيثًا هُوَ مُصَدِّقٌ لَهُ وَهُوَ كَاذِبٌ عَلَيْهِ.

٤- لَا يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ فَيَقْلِلَ مِنْ شَأْنِهِ مَهْمَا كَانَ أَصْلُهُ أَوْ وَضَعُهُ الْمَادِيَّ، وَاحْتِقَارُ الْمُسْلِمِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ، قَالَ ﷺ: (يَحْسَبُ امْرِئٌ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ)، وَاحْتِقَارُ الْمُسْلِمِينَ عِلْمَةٌ الْمَتَكَبِّرِ الْمَذْمُومِ عِنْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ ﷺ: (الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ).

– مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- تَحْرِيمُ التَّحَاوُسِ وَالتَّنَاجُشِ وَالبَيْعِ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَكَذَا الشِّرَاءِ عَلَى شِرَائِهِ، وَكَذَا كُلُّ مَا يَجْلِبُ الْعَدَاوَةَ وَالبِغْضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

٢- النَّهْيُ عَنِ تَعَاطِيِ أَسْبَابِ الْبِغْضَاءِ، وَكَذَا كُلُّ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَقَاطُعٍ وَتَهَاجُرٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

٣- حُثُّ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا عَلَى أَنْ يَكُونُوا إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ مُتَأَلِّفِينَ.

٤- أن الأُخوةَ بينَ المُسلمينَ تقتضي إِيصالَ الخَيرِ إليهم ودفعَ الضَررِ
عَنهم.

٥- أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى المُسْلِمِ ظُلْمَ أَخِيهِ وَحُدْلانَهُ وَاحْتِقارَهُ وَالكَذِبَ عَلَيْهِ.

٦- بَيانُ حُطُورَةِ احْتِقارِ المُسْلِمِ لِأَخِيهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَافٍ لِلْمُحْتَقِرِ مِنَ الشَّرِّ،
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَرٌّ سِوَاهُ.

الحديثُ السادسُ والثلاثونُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَيَّ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَادَرَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ، الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَهُوَ حَدِيثٌ عَظِيمٌ، جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْأَدَبِ. فَرَعَّبَ فِي حَقِّقِ أَخْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَفِي طَلْبِ الْعِلْمِ، وَفِي الْإِهْتِمَامِ بِدُسْتُورِ السَّمَاءِ، مِنْ حَيْثُ: قَرَأْتُهُ، وَفَهَّمْتُهُ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَتَبْلِيغُهُ لِلنَّاسِ.

– قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) وَفِي رِوَايَةِ الصَّحِيحِينَ (فَرَجَّ)، وَالْمَعْنَى: أزالها وَخَفَّفَهَا عَنْهُ، وَالتَّفْرِيجُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يُزِيلَ كُرْبَتَهُ، فَتَفْرِجَ عَنْهُ كُرْبَتَهُ، وَيَزُولَ هُمُّهُ وَغَمُّهُ.

والكربة: هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الحزن والغم الذي يأخذ بالنفس، والإنسان يتعرض في هذه الحياة لما يُهمُّه ويُعْمُه ويحزنه في بدنه وولده وأهله وماله ودينه، فينبغي على إخوانه في العقيدة أن يسعوا لتخليصه من هذا، وتخفيف آلامه وأحزانه قدر المستطاع.

- قوله ﷺ: (وَمَنْ يَسَّرَ عَلَيَّ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، المُعْسِرُ: هو مَنْ كَثُرَتْ دِيُونُهُ وَأَثْقَلَتْهُ، بحيث لا يستطيع سدادها. ويكون التيسير عليه: إما بانظاره إلى ميسرة، حتى يخرج من عسره ويوسع الله عليه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، وإما بالوضع عنه إن كان غريباً، أو بإعطائه ما يزول به إعساره، ففي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: (كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَىٰ مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ عَنْهُ).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وقال ﷺ: (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ).

- قوله ﷺ: (وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، الأصل أنَّ المسلم السوي إذا رأى عيباً أو تقصيراً في أخيه المسلم أن يدعو له بالاستقامة والصلاح، وأن ينصحه بالسِّرِّ، فهذا أحرى لقبول النصيحة.

لا أن يفرح ويسعد بزلة أخيه وسقطاته، ويجعل منها حديثاً يتلذذ به في المجالس، فيفضح أخاه بذلك، ويخالف أمر ربه ورسوله ﷺ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: (يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَفِضِ الْإِيمَانَ إِلَىٰ قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا نَعِيْرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ) وهذا في حق من كان مستور

الحال معروفاً بين الناس بطاعته وصلاحه، مثل هذا إذا وقعت منه هفوة أو زلة
وجب على من رآه أن يستر عليه.

وأما من كان معروفاً بمعاصيه، مجاهراً بها، لا يُبالي بها، ولا بما قيل، مثل
هذا الصَّربِ من النَّاسِ لا غيبةَ له، بل لا بدَّ من بيان حاله للنَّاسِ حتَّى يحذروا
من شرِّه، وإذا لم ينته فلا بدَّ من رفع حاله لولاة الأمر لتأديبه، وتقويم سلوكه.
- قوله ﷺ: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)، كما أمرنا
بالتَّعاونِ على الخير فقد نُهيْنَا عن التَّعاونِ على الشرِّ كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا
عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

- قوله ﷺ: (وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى
الْجَنَّةِ)، قد يكون المراد السُّلوكِ الحقيقي للطريق، وهو المشي بما هبأ الله
لنا من وسائل إلى مجالس العلماء، وقد يكون سلوك الطريق المعنوي المؤدي
لحصول العلم، مثل: حفظه، ومدارسته، ومذاكرته، ومطالعته، وكتابته، والتفهم
له، ونحو ذلك من الطرق، أمَّا قوله ﷺ: (سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)،
فقد يُراد به تسهيل حصوله على العلم الذي هو طريق الجنة، أو يُسهل له -
إذا ابتغى به وجه الله - الانتفاع به والعمل بمقتضاه، فيكون العلم سبباً لهديته
ولدخوله الجنة، أو يسهل الله له طريق الجنة يوم القيامة، من اجتياز الصراط،
وما بعده من الأهوال، وما قبله، والله أعلم.

- قوله ﷺ: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَخَفَّتْهُمْ
الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)، يُستدلُّ بالحديث على استحباب الجلوس
في المساجد، والاجتماع على تلاوة كتاب الله عز وجل، فإن حُمِلَ الحديث
على تعلُّم القرآن وتعليمه فلا خلاف في استحبابه، قال ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ

الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ).

وإنَّ حُمَلَ عَلَى مَا هُوَ أَعْمُ مِنْ ذَلِكَ، كَالاجْتِمَاعِ فِي الْمَسَاجِدِ عَلَى دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ مَطْلَقًا فَهَذَا كَذَلِكَ مُسْتَحَبٌّ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعِ بِهِ نَسَبُهُ)، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: مَنْ كَانَ عَمَلُهُ نَاقِصًا لَمْ يُلْحِقْهُ بِمَرْتَبَةِ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ فَيَنْبَغِي أَلَّا يَتَّكِلَ عَلَى شَرَفِ النَّسَبِ وَفَضِيلَةِ الْآبَاءِ، وَيَقْصِرَ فِي الْعَمَلِ. وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا). فَمَنْزِلَةُ الْإِنْسَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ إِيْمَانِهِ وَعَمَلِهِ، وَسِوَاءِ أَكَانَ ذَا نَسَبٍ رَفِيعٍ أَوْ ضَعِيفٍ.

- مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- أَنْ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

٢- التَّرغِيبُ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْعِبَادِ.

٣- الْحَثُّ عَلَى الْمَسَارَعَةِ لِلتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا.

٤- الْحَثُّ عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

٥- فَضْلُ الْجُلُوسِ فِي بُيُوتِ اللَّهِ لِمَدَارَسَةِ الْعِلْمِ.

الحديث السابع والثلاثون

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: (إن الله كتب الحسنات والسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ: فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً). رواه البخاري ومسلم.

- قوله ﷺ: (إن الله كتب الحسنات والسَّيِّئَاتِ) قال: الطُّوفِيُّ: أي أمر الحَفْظَةَ أن تكتب. وقال غيره المراد: قدَّر ذلك وعَرَفَ الكِتَابَةَ مِنَ الملائكة ذلك التَّقْدِيرَ، فلا يَحْتَاجُ إِلَى استفسارٍ في كلِّ وقتٍ عن كَيْفِيَّةِ الكِتَابَةِ لكونه أَمْرًا مَفْرُوعًا مِنْهُ.

- قوله ﷺ: (فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً) دون أن يُضَاعَفَهَا لَهُ، قال الطُّوفِيُّ: إِنَّمَا كُتِبَتِ الحَسَنَةُ بِمَجْرَدِ الإِرَادَةِ؛ لِأَنَّ إِرَادَةَ الخَيْرِ سَبَبٌ إِلَى العَمَلِ، وإِرَادَةُ الخَيْرِ خَيْرٌ؛ لِأَنَّ إِرَادَةَ الخَيْرِ عَمَلُ القَلْبِ. والمَقْصُودُ بِالهِمِّ: العَزْمُ المَصْمُومُ الَّذِي يَوجَدُ مَعَهُ الحِرْصُ عَلَى العَمَلِ، لا مَجْرَدَ الخَاطِرَةِ العَابِرَةِ، وَمِمَّا يَشْهَدُ مِنَ القُرْآنِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ

اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَلْعَيْنِ دَرَجَةً وُكُلًا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَلَ اللَّهُ
 الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَلْعَيْنِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَّحِيمًا ﴿١٦﴾. والمقصودُ بأهلِ الضَّرْرِ هم: أهلُ الأعدارِ ولكنْ عندهم نِيَّةٌ صَادِقَةٌ
 فِي الخُرُوجِ، فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ، قَالَ ﷺ: (إِنَّ أَقْوَامًا خَلَفْنَا
 بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًّا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ)، فَهؤُلاءِ يُعْطَوْنَ
 مِنَ الْأَجْرِ، وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ تَضْعِيفٍ، فَيُفْضَلُهُ الْغَازِي بِالتَّضْعِيفِ لِمُبَاشَرَةِ الجِهَادِ.
 - قَوْلُهُ ﷺ: (وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى
 سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ) وَهَذَا فِي كُلِّ عَمَلٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ
 بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا﴾، وَلَكِنْ هُنَاكَ أَعْمَالٌ جَاءَتْ نِصُوصٌ تَدُلُّ عَلَى
 مِضَاعِفَتِهَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ مِنْهَا:

التَّفَقُّةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ
 يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَنَّ التَّفَقُّةَ تُضَاعَفُ بِسَبْعِمِائَةٍ
 ضِعْفٍ.

هُنَاكَ أَعْمَالٌ لَا يَعْلَمُ مِضَاعِفَةَ أَجْرِهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ ﷺ: (إِلَّا الصَّوْمَ
 فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْرِي بِهِ).

وَتَكُونُ مِضَاعِفَةُ الحَسَنَاتِ بِحَسَبِ حُسْنِ إِسْلَامِ الْعَبْدِ وَإِخْلَاصِهِ، وَبِحَسَبِ
 فَضْلِ الْعَمَلِ وَزَمَنِ إِيقَاعِهِ.

- قَوْلُهُ ﷺ: (وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً)
 بِشَرَطِ أَنْ يَتْرُكَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ ﷺ: (إِنَّمَا تَرَكْتُهَا مِنْ جَرَايِ)، أَمَا إِذَا
 تَرَكْتُهَا خَوْفًا مِنَ الْعِبَادِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَأْتُمْ؛ لِأَنَّهُ قَدَّمَ خَوْفَ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ
 عَزَّ وَجَلَّ.

وإذا همَّ بالمعصية وسعى لها وحال دونها القدر، ذكر جماعة من أهل العلم أنه يُعاقب، واستدلوا بقوله عليه السلام: (إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيِّئِيهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ) قلتُ: يا رسولَ اللهِ، هذا القاتلُ فما بالُ المقتولِ؟! قالَ: (إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ). وقالَ المازريُّ: ذهبَ ابنُ الباقلانيِّ إلى أنَّ مَنْ عَزَمَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ بِقَلْبِهِ وَوَطَّنَ عَلَيْهَا نَفْسَهُ أَنَّهُ يَأْتِمُّ.

وهذا ما يميلُ إليه الحافظُ في الفتح، قالَ رحمه اللهُ: وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ وَهُوَ يَعَاقِبُ عَلَى عَزْمِهِ بِمَقْدَارِ مَا يَسْتَحِقُّهُ، وَلَا يَعَاقِبُ عِقَابَ مَنْ بَاشَرَ الْقَتْلَ حَسًّا، وكلامه هذا تعقيبٌ على الحديثِ (إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ). - قوله ﷺ: (وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلُهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وَلَكِنَّ السَّيِّئَةَ تَعْظُمُ أحيانًا بسبب:

- شَرَفِ الزَّمَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، نَهَى عَنِ ظُلْمِ النَّفْسِ فِيهِنَّ، ثُمَّ اخْتَصَّ مِنْهُنَّ الْأَشْهُرَ الْحَرَمَ وَهِيَ: مُحَرَّمٌ، وَرَجَبٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، فَجَعَلَ الذَّنْبَ فِيهِنَّ أَعْظَمَ، وَالْعَمَلُ وَالْأَجْرُ أَعْظَمَ، قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا.

- شَرَفِ الْمَكَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، قَالَ ابْنُ عَمْرٍو: الْفُسُوقُ: إتيانُ معاصيِ اللهِ فِي الْحَرَمِ، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: الْخَطِيئَةُ فِيهِ أَعْظَمُ، وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو: (لَأَنَّ أَخْطَى سَبْعِينَ خَطِيئَةً - يَعْنِي بغيرِ مَكَّةَ - أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْطَى خَطِيئَةً وَاحِدَةً بِمَكَّةَ).

وقال مجاهدٌ: تُضَاعَفُ السَّيِّئَاتُ بِمَكَّةَ كَمَا تُضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ، وَكَذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ. وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

- مكانة المرء، قال تعالى: ﴿يُنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُم بِفَلْحَشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَلَعَفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَفْتِنْ مِنْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعَمَلْ صَالِحًا تُوِّفَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾.

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- إثباتُ كِتَابَةِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ.
- ٢- أَنْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُضَاعَفَةُ ثَوَابِ الْحَسَنَاتِ.
- ٣- مِنْ عَدْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا يُزَادَ فِي السَّيِّئَاتِ.
- ٤- أَنْ اللَّهَ يُثِيبُ عَلَى الْهَمِّ بِالْحَسَنَةِ إِذَا لَمْ يَعْمَلْهَا بِكِتَابَتِهَا حَسَنَةً كَامِلَةً.
- ٥- أَنْ مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَتَرَكَهَا مِنْ أَجْلِ اللَّهِ يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِتَرَكَهَا حَسَنَةً كَامِلَةً.
- ٦- التَّرْغِيبُ فِي فِعْلِ الْحَسَنَاتِ وَالتَّرْهِيْبُ مِنْ فِعْلِ السَّيِّئَاتِ.

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا اقْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَنْ سَأَلَنِي لِأُعْطِيَنَّهُ، وَلَنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ). رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

قَالَ الطُّوفِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْوَصُولِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَطَرِيقَةِ آدَاءِ الْمَفْرُوضَاتِ الْبَاطِنَةِ وَهِيَ: الْإِيمَانُ، وَالظَّاهِرَةِ وَهِيَ: الْإِسْلَامُ، وَالْمُرَكَّبِ مِنْهُمَا وَهُوَ: الْإِحْسَانُ، كَمَا تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْإِحْسَانُ يَتَضَمَّنُ مَقَامَاتِ السَّالِكِينَ مِنَ الزُّهْدِ وَالْإِحْلَاصِ وَالْمِرَاقِبَةِ وَغَيْرِهَا.

– قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ) الْوَلِيُّ عَرَفَهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ١٢٠ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٢١﴾، فَالْوَصْفُ الْأَوَّلُ لَهُمْ: الْإِيمَانُ الصَّادِقُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْوَصْفُ الثَّانِي: تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ الْحَافِظُ: الْمُرَادُ بَوْلِيَّ اللَّهِ:

العالم باللَّه، المواظِبُ على طاعته، المخلصُ في عبادته.

وأولياءُ الله تعالى ليسَ لهم علاماتٌ خاصَّةٌ وشعاراتٌ يرفعونها، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ: وليسَ لأولياءِ الله شيءٌ يميِّزونَ به عن النَّاسِ في الظَّاهرِ مِنَ الأمورِ المباحاتِ، فلا يميِّزونَ بلباسٍ دونَ لباسٍ، ولا بحلقِ شعرٍ أو تقصيره أو ضفره، إذا كانَ كلاهُما مباحًا، كما قيل: كم من صديقٍ في قباةٍ، وكم من زنديقٍ في عباةٍ.

الأولياءُ غيرُ معصومينَ، وقد يقعونَ في بعضِ الأخطاءِ، وممَّا يشهدُ لذلكَ أنَّ أفضلَ أولياءِ الله بعدَ الرُّسلِ - وهم الصَّحابةُ - قد وقعوا في أخطاءٍ في كثيرٍ مِنَ المواضعِ، فقد وَقَعَ القتالُ بينهم رضوانُ الله عليهم، كما أنَّ لهم كثيرًا مِنَ الاجتهاداتِ التي لم يحالفهمُ فيها الصَّوابُ، والشَّواهدُ في هذا كثيرةٌ معلومةٌ للمطلِّعِ على أقوالهم في كتبِ الفقهِ وغيرها.

وقوله تعالى: (فقد آذنتهُ بالحربِ) أي أعلمتُهُ بأنِّي محاربٌ له وذلكَ بإهلاكِهِ. وفيه وعيدٌ شديدٌ للَّذينَ يؤذونَ أولياءَ الله في أبدانِهِم، أو أعراضِهِم، أو أموالِهِم، واللهُ تباركُ وتعالى يمهلُ الظَّالمينَ ولا يُهمِّلُهُم.

- قوله تعالى: (وما تقربَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُهُ عليهِ)، قال عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه: (أفضلُ الأعمالِ أداءُ ما افترضَ اللهُ، والورعُ عمَّا حرَّمَ اللهُ، وصدقُ النِّبْيَةِ فيما عندَ اللهُ تعالى).

- قوله تعالى: (ولا يزالُ عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتَّى أُحبَّهُ) التقربُ بالنوافلِ يكونُ بعدَ التقربِ بالفرائضِ، وأبوابُ النوافلِ واسعةٌ، وهو طريقُ طهارةِ النفوسِ وزكاتها.

- قوله تعالى: (فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعُهُ الَّذي يسمعُ به، وبصرُهُ الَّذي يبصرُ به، ويدهُ التي يبطشُ بها، ورجلهُ التي يمشي بها) المعنى: كنتُ سمعُهُ

وبصره في إثارة أمري، فهو يحب طاعتي، ويؤثر خدمتي، كما يحب هذه الجوارح.

- قوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَنِي لَأُعْطِيَنَّكَ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّكَ)، فيه أن ولي الله مستجاب الدعوة، وكان كثير من الصحابة مجاب الدعوة.

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١- بيان فضل أولياء الله، وشدة خطر مُعاداتهم.
- ٢- أن ولاية الله عز وجل تحصل بأداء الفرائض وفعل النوافل.
- ٣- أن أحب ما يتقرب إلى الله عز وجل به أداء الفرائض.
- ٤- إثبات صفة المحبة لله عز وجل.
- ٥- تفاوت الأعمال في محبة الله إياها.
- ٦- أن فعل النوافل بعد أداء الفرائض يجلب محبة الله عز وجل.
- ٧- أن من ظفر بمحبة الله عز وجل سدده في سمعه وبصره وبطشه ومشييه.

- ٨- أن محبة الله عز وجل تجلب للعبد إجابة دعائه وإعادته مما يخاف.
- ٩- أن ثواب الله عز وجل للعبد يكون بإجابة مطلوبه والسلامة من مرهوبه.

الحديثُ التاسعُ والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي: الْخَطَأَ، وَالتَّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ). حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

– مَنْزِلَةُ الْحَدِيثِ:

قال ابن حجر الهيتمي: وهو عامُّ النَّفْعِ؛ لوقوعِ الثلاثةِ في سائرِ أبوابِ الفقه، عظيمِ الوقع، يصلحُ أن يُسمَى نصفَ الشَّرِيعَةِ؛ لأنَّ فَعَلَ الإنسانِ الشَّامِلَ لقوله: إمَّا أن يصدرَ عن قصدٍ واختيارٍ وهو العمدُ مع الذِّكْرِ اختيارًا، أو لا عن قصدٍ واختيارٍ وهو الخطأُ أو التَّسْيَانُ أو الإكْرَاهُ، وقد عُلِمَ من هذا الحديثِ صريحًا، أنَّ هذا القسمَ معفوٌّ عنه، ومفهومًا: أنَّ الأوَّلَ مؤاخَذٌ به، فهو نصفُ الشَّرِيعَةِ باعتبارِ منطوقِهِ، وكلُّهَا باعتبارِهِ مع مفهومِهِ.

– قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ) أَنَّ اللَّهَ رَفَعَ الْإِثْمَ وَالْحَرَجَ وَالْمُؤَاخَذَةَ فِي الْآخِرَةِ عَنِ الْمَخْطِئِ، وَالْخَطَأُ: ضِدُّ الْعَمْدِ وَهُوَ مَا لَمْ يَتَعَمَّدْ، مِثْلُ أَنْ تَقْتُلَ إِنْسَانًا بِفَعْلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَقْصِدَ قَتْلَهُ، فَالْمَخْطِئُ هُوَ أَنْ يَقْصِدَ بِفَعْلِهِ شَيْئًا فَيَصَادَفَ غَيْرَ مَا قَصَدَ. وَمِمَّا يَشْهَدُ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ لِلْحَدِيثِ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَنَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ

فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ).

ورفع الحرج والإثم عن المخْطِئِ لا يعني عدم ترتيبِ أحكامِ خطئِهِ، فمثلاً إذا قتلَ المسلمُ خطأً هناك أحكامٌ تترتَّبُ على قتلِهِ كعتقِ رَقَبَةٍ، ودفعِ الدِّيَةِ لأولياءِ الدَّمِ، وصيامِ شهرينِ مُتتابعينِ.

ولكن من حيث إثبات حكمٍ على المخْطِئِ أو عدمُهُ، يجبُ النَّظْرُ في المسألةِ والاطِّلاعُ على أدلَّتِهَا وفهْمُ العلماءِ فيها، ثمَّ بعدَ ذلكَ يصدرُ الحكمُ؛ لأنَّ هناك أموراً لا تترتَّبُ على المخْطِئِ فيها أحكامٌ، مثلُ مَنْ شربَ خمراً ظانِّاً أنَّها شرابٌ غيرُ مسكِرٍ، فهذا لا حدَّ عليه ولا تعزيرَ، إلى غيرِهَا من المسائلِ الكثيرةِ الَّتِي على هذا المنوالِ.

وهناك أمورٌ تترتَّبُ عليها أحكامٌ مثلُ ما ذكرنا في قتلِ الخطأِ، ومثلُ لو أتلَفَ مالٌ غيرِهِ بالخطأِ فهو ضامنٌ لِمَا أتلَفَ، إلى غيرِهَا من المسائلِ الكثيرةِ. - قوله ﷺ: (والتَّسْيَانُ) التَّسْيَانُ ضِدُّ الذِّكْرِ والحَفْظِ. وهو أن يكونَ ذاكراً لشيءٍ فينساهُ عندَ الفعلِ. والتَّاسِي رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ كَذَلِكَ الحَرَجَ والمؤاخِذَةَ والإِثْمَ، ومِمَّا يشهدُ للحديثِ قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

ورفعُ الإِثْمِ والحَرَجِ عن النَّاسِي لا ينافي أن يترتَّبَ على التَّسْيَانِ حكمٌ، فمثلاً مَنْ صَلَّى دُونَ وضوءٍ فلا بدَّ مِنَ الإِعَادَةِ، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ المكتوبةَ نسياناً حتَّى خرَجَ وقتُهَا فيجبُ عليه أن يصليَها إذا ذَكَرَ، وذلكَ لقوله ﷺ: (مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَ لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلا ذَلِكَ).

- قوله ﷺ: (وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ) الإِكْرَاهُ هُوَ حَمَلُ الغَيْرِ عَلَى مَا لا يَرْضَاهُ قَهْرًا.

يشهدُ للحديثِ مِنَ الذِّكْرِ الحَكِيمِ قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ

إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ ﴿١٠٠﴾.

هذه الآية نزلت في عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ؛ لِأَنَّهُ قَالَ كَلِمَةً مُكْرَهًا، فَنفَى اللّهُ عَنْهُ الحَرَجَ والمُؤَاخَذَةَ وَالإِثْمَ فِي ذَلِكَ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ: «أَجْمَعَ أَهْلُ العِلْمِ أَنَّ مَنْ أَكْرَهَ عَلَى الكُفْرِ حَتَّى خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ القِتْلَ، أَنَّهُ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ كَفَرَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ، وَلَا تَبَيَّنَ مِنْهُ زَوْجَتُهُ وَلَا يُحَكَّمُ عَلَيْهِ بِحَكْمِ الكُفْرِ، هَذَا قَوْلُ مَالِكٍ وَالكُوفِيِّينَ وَالشَّافِعِيِّ». فكلُّ مَنْ أَكْرَهَ عَلَى قَوْلِ الكُفْرِ أَوْ فَعَلِهِ فَإِنَّهُ مُعْذَرٌ لِأَنَّهُ مُسْلَبُ الرِّضَا وَالإِخْتِيَارِ.

— مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الحَدِيثِ:

- ١- بَيَانُ سَعَةِ رَحْمَةِ اللّهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى عِبَادِهِ؛ حَيْثُ رُفِعَ عَنْهُمْ الإِثْمَ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ.
- ٢- رَفْعُ المُؤَاخَذَةِ عَلَى الخَطَأِ، فَإِنْ كَانَ الخَطَأُ فِي تَرْكِ وَاجِبٍ فَعَلَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي إِتْلَافٍ حَقِّ لِغَيْرِهِ ضَمِنَهُ.

الحديثُ الأربعةونَ

عن ابنِ عمرٍ رضي الله عنهما قالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكَبِي فَقَالَ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواهُ البُخاريُّ

- قوله ﷺ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) لَمَّا كَانَ الْغَرِيبُ قَلِيلَ الْإِنْسَاطِ إِلَى النَّاسِ، بَلْ هُوَ مُسْتَوْحِشٌ مِنْهُمْ إِذْ لَا يَكَادُ يَمُرُّ بِمَنْ يَعْرِفُهُ فَيَسْتَأْنَسَ بِهِ، فَهُوَ ذَلِيلٌ فِي نَفْسِهِ خَائِفٌ، وَكَذَلِكَ عَابِرُ السَّبِيلِ لَا يَنْفِذُ فِي سَفَرِهِ إِلَّا بِقُوَّتِهِ عَلَيْهِ، وَتَخْفِيفِهِ مِنَ الْأَثْقَالِ غَيْرِ مَتَثَبٍ بِمَا يَمْنَعُهُ مِنْ قَطْعِ سَفَرِهِ، مَعَهُ زَادُهُ وَرَاحِلَتُهُ يُبَلِّغَانِهِ إِلَى بُغْيَتِهِ مِنْ قَصْدِهِ، شَبَّهَ بِهِمَا، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى إِثَارِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَأَخْذِ الْبَلْغَةِ مِنْهَا وَالْكَفَافِ، فَكَمَا لَا يَحْتَاجُ الْمَسَافِرُ إِلَى أَكْثَرِ مِمَّا يَبْلُغُهُ إِلَى غَايَةِ سَفَرِهِ، فَكَذَلِكَ لَا يَحْتَاجُ الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَكْثَرِ مِمَّا يَبْلُغُهُ الْمَحَلَّ.

- وقول ابنِ عمرٍ رضي الله عنهما: (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ) مُنْتَزَعٌ مِنْ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ، فَهِيَ تَذُلُّ عَلَى قِصْرِ الْأَمَلِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَيَتَّبِعِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَظَلَّ دَائِمًا مُسْتَشْعِرًا أَنَّ أَجَلَهُ مُدْرِكُهُ. وَهَذَا الشُّعُورُ يَدْفَعُهُ لِلْقَنَاعَةِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الدُّنْيَا، وَالِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ،

وإحسانٍ ما كَلِّفَ بهِ مِنْ طَاعَاتٍ وَاجِبَةٍ وَمُسْتَحَبَّةٍ.

– قولُ ابنِ عمرَ: (وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ) هذه وصيَّةٌ مِنْهُ ﷺ باستِغْلَالِ زَمَنِ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ بِالطَّاعَةِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبِّ مِنْهَا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ أَثْنَاءَ الْمَرَضِ قَدْ يَعْجُزُ عَنِ الْكَثِيرِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَقَدْ يُقْصِرُ بِأَدَائِهَا، فَعَلَّ مَا قَامَ بِهِ أَثْنَاءَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ يَجْبُرُ مَا بَدَرَ مِنْهُ أَثْنَاءَ الْمَرَضِ.

– مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- الحثُّ عَلَى اسْتِشْعَارِ الْغُرْبَةِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؛ لِيَسْتَعِدَّ فِيهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

٢- فعلُ المَعْلَمِ مَا يَلْفِتُ نَظَرَ الْمُتَعَلِّمِ إِلَى فَهْمِ مَا يُلْقَى عَلَيْهِ؛ لِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكَبِيَّ».

٣- مُبَادَرَةُ الصَّحَابَةِ إِلَى تَنْفِيذِ وَصَايَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٤- فَضْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ بِأَخْذِهِ بَوْصِيَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَحَثِّ غَيْرِهِ عَلَيْهَا.

٥- الحثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ دُونَ كَسَلٍ أَوْ تَأْخِيرٍ.

الحديث الحادي والأربعون

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ الْقُرَشِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ)، حديث حسن صحيح، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

– زاوي الحديث:

هو عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي، ولد قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وهو أكبر أبناء عمرو بن العاص كان يكتب في الجاهلية، ويُجيد السريانية. وأسلم في السنة السابعة من الهجرة قبل أبيه، وصحب رسول الله ﷺ، واستأذنه في أن يكتب ما يسمع منه، فأذن له، وهو أحد حُفَاطِ الصَّحَابَةِ، والمُكْثِرِينَ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ.

شهد فتوح الشام، ومصر، وكان من قادات الفتوح العربية لشمال أفريقيا حتى طنجة، وغزا قبرص مع معاوية بن أبي سفيان، وكان يضرب بالسيفين. ولأه معاوية الكوفة ثم مصر نحو سنتين، ولما ولي يزيد بن معاوية امتنع وانزوى جهة عسقلان، وقد عاش طويلاً وعمي في آخر عمره، ومات عن اثنتين وتسعين سنة، واختلّفوا في مكان وفاته، قيل: في ناحية عسقلان، وقيل: في مصر.

– الحديث صححه النووي، ضعفه الحافظ ابن رجب والألباني.

- نفي الإيمان في الحديث نفي للكمال الواجب، قال النووي في شرح الأربعين: «أي: أن الشخص يجب عليه أن يعرض عمله على الكتاب والسنة، ويخالف هواه ويتبع ما جاء به ﷺ، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فليس لأحد مع الله عز وجل ورسوله ﷺ أمر ولا هوى».

قال ابن رجب: «والمعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق أنه الميل إلى خلاف الحق، كما في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٦٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقاً، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه، وسئل صفوان بن عسال: هل سمعت من النبي ﷺ يذكر الهوى؟ فقال: سأله أعرابي عن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم؟ فقال: (المرء مع من أحب)، ولما نزل قوله عز وجل: ﴿تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُقْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ قالت عائشة للنبي ﷺ: «ما أرى ربك إلا يسارع في هواك» وقال عمر في قصة المشاورة في أسارى بدر: «فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت». وهذا الحديث مما جاء استعمال الهوى فيه بمعنى المحبة المحمودة».

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- وجوب اتباع الرسول ﷺ فيما جاء به.

٢- تفاوت الناس في الإيمان.

الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

- هَذَا الْحَدِيثُ هُوَ آخِرُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي أوردَهَا النووي رحمه الله في كتابه الأربعين، وقد زادت على الأربعين حديثين، فيكون إطلاق الأربعين عليها من تغليب اللفظ وحذف الكسر الزائد في العدد، وهو من الأحاديث القدسية التي يرويهها رسول الله ﷺ عن ربه تبارك وتعالى.

- قول الله تعالى: (يا ابن آدم، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي) ما: مصدرية ظرفية، أي ما دُمت تدعوني وترجوني، يعني مُدَّة دُعَايِكَ وَرَجَائِكَ ... غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي.

دعاء العبد ربه مغفرة ذنوبه، ورجاؤه ذلك منه دون يأس، مع التوبة من الذنوب يحصل به من الله المغفرة ولو عظمت الذنوب وكثرت وتكررت، ولهذا قال: (على ما كان منك ولا أبالي)، ونظير هذا قول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠﴾.

- قول الله تعالى: (يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك) عنان السماء، أي: بلغت السماء أو ما دون ذلك كالسحاب أو ما يبلغه بصر الناظر إلى فوق، ثم حصل من العبد الاستغفار مع التوبة من جميع الذنوب، فإن الله تعالى يغفر تلك الذنوب ويتجاوز عنها، والتوبة تكون بالإقلاع من الذنب، والندم على ما فات، والعزيمة في المستقبل على ألا يعود إليه.

- قول الله تعالى: (يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) الشرك بالله عز وجل هو الذنب الذي لا يغفره الله، وكل ذنب دون الشرك فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عن صاحبه ولم يعذبه، وإن شاء عذبه وأدخله النار، ولكنه لا يُخلد فيها خلود الكفار، بل لا بد أن يخرج منها ويدخل الجنة، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، في آيتين من سورة النساء، وفي هذا الحديث بيان أن الذنوب ولو بلغت ما بلغت، فإن الله يتجاوز عنها، بشرط كون العبد مخلصاً لعبادته لله، سليماً من الإشراك به.

- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- سعة فضل الله عز وجل ومغفرة ذنوب عباده.

٢- من أسباب مغفرة الذنوب دعاء الله ورجاؤه من غير يأس.

٣- فضل الاستغفار مع التوبة، وأن الله يغفر للمستغفر ذنوبه ولو بلغت

في الكثرة ما بلغت.

٤- أن الشرك بالله هو الذنب الذي لا يغفر، وأن ما سواه تحت مشيئة

الله.

٥- فَضْلُ الْإِخْلَاصِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُكَفِّرُ بِهِ الذُّنُوبَ.

وبهَذَا نَكُونُ قَدْ أْتَمَمْنَا شَرْحَ مَتْنِ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ، وَذَلِكَ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ
الْإِثْنَيْنِ ١٨ / ٨ / ١٤٤٣ هـ - ٢١ / ٣ / ٢٠٢٢ م، وَأَخِيرًا أَسْأَلُ اللَّهَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ
أَنْ يَبَارِكَ فِيهِ كَمَا بَارَكَ فِي أَصْلِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ شَفِيعًا لِي وَلِوَالِدَيَّ وَأَهْلِي وَذُرِّيَّتِي
وطلّابِي وَكُلِّ مَنْ قَرَأَهُ وَدَرَسَهُ وَنَشَرَهُ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

كتبه

أبو الحارث

عمر بن سالم بن عبد الله باوزير العباسي

فهرس الموضوعات

٣		مقدمة
٥		الحديث الأول
١٠		الحديث الثاني
١٦		الحديث الثالث
١٩		الحديث الرابع
٢٣		الحديث الخامس
٢٦		الحديث السادس
٣٠		الحديث السابع
٣٤		الحديث الثامن
٣٨		الحديث التاسع
٤١		الحديث العاشر
٤٤		الحديث الحادي عشر
٤٦		الحديث الثاني عشر
٤٨		الحديث الثالث عشر
٥٠		الحديث الرابع عشر
٥٣		الحديث الخامس عشر
٥٦		الحديث السادس عشر

٥٩		الحديث السابع عشر
٦٢		الحديث الثامن عشر
٦٤		الحديث التاسع عشر
٦٩		الحديث العشرون
٧٢		الحديث الحادي والعشرون
٧٤		الحديث الثاني والعشرون
٧٦		الحديث الثالث والعشرون
٨٠		الحديث الرابع والعشرون
٨٦		الحديث الخامس والعشرون
٨٩		الحديث السادس والعشرون
٩١		الحديث السابع والعشرون
٩٤		الحديث الثامن والعشرون
١٠١		الحديث التاسع والعشرون
١٠٧		الحديث الثلاثون
١١٠		الحديث الحادي والثلاثون
١١٣		الحديث الثاني والثلاثون
١١٥		الحديث الثالث والثلاثون
١٢٠		الحديث الرابع والثلاثون
١٢٧		الحديث الخامس والثلاثون
١٣٢		الحديث السادس والثلاثون
١٣٦		الحديث السابع والثلاثون
١٤٠		الحديث الثامن والثلاثون

١٤٣		الحديث التاسع والثلاثون
١٤٦		الحديث الأربعون
١٤٨		الحديث الحادي والأربعون
١٥٠		الحديث الثاني والأربعون
١٥٣		فهرس الموضوعات